# المشرق

## شركة مار منصور دي بول

لمة تاريخيَّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ان من العلامات المميِّزة لكنيسة المسيح الحقيقيَّة والسمات الخاصَّة بها دون سواها محبَّة ابنائها للقريب تبعاً لقوله تعالى (يو ١٣: ٣٥) : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبُّون بعضكم بعضاً ». فترى الكنيسة حيثما اناخت ركابها ومدَّت اطنابها أسرعت الى مساعدة ذوي البأساء ولسعاف المصابين بالنكبات والمبتلين بتوازل الدهر وبلايا الحياة في كل مظاهرها وضروب آفاتها بين كل عباد الله على اختلاف مللهم ونحلهم لتشفي على قدر استطاعتها كل داء وتلطِّف كل وجع وتسدَّ كل حاجة. حتى انَّ احد كبار فلاسفة القرن المنصرم امكنهُ ان يقول في نادٍ حافل ضمَّ اليه كثيرًا من ارباب الاديان المختلفة : « اقول ولا اخاف ان ينكر عليَّ احد منكم قولي انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي اعظم منشئة للاعمال الخيريَّة في العالم. فان رأيتم بلدًا ترقَّت فيه المساعي الخيريَّة تأكَّدوا انَّ للكثلكة فيها يدًا طويلة بل اوفى الاسهمة فان المشروعات الخيريَّة تنبت تحت اقدامها كما تنبت الأزهار في الرياض بعد هطلان الامطار ». ولكلِّ عمل من هذه الاعمال المبرورة التي اخذت الكنيسة على عاتقها القيام بها تاريخٌ عجيب لا يتصفَّحهُ القارئ الَّا عظَّم الله ومجَّدهُ في ما الهمهُ لعباده من طرائق الاحسان. فمنها ما يرتقي الى قرون عديدة فلا تنحصر تفاصيل اخباره في مجلَّدات ضخمة ومنها ما هو أحدث عهدًا نشأ في الازمنة المتأخرة فظهرت آثارهُ الطيِّبة في كل الاقطار

ولعلَّ القرن السابق الذي استفحل فيهِ الشرّ وانتشر روح الكفر كان من أغنى القرون باعمال الخير نحو القريب اذ رأى الكاثوليك انَّ في المشروعات الخيريَّة أحسن جواب على اهل الكفر ففيهِ قامت جمعيَّات رهبانيَّة لا تُحصى لمعالجة كل الاسقام المادِّيَّة والاديبَّة معاً. بل نشأت جمعيَّات دينيَّة بين العالميّين انفسهم اقدموا فيها على كل اعمال الصلاح بنزاهة عجيبة وتفانٍ يذهل العقول

وفي هذا اليوم نلقي بنظرنا الى احدى هذه الجمعيَّات الخيريَّة التي عطَّرت العالَمين بشذا مبرَّاتها فامتدَّت فروعها الى بلادنا منذ خمسين سنة واحتفلت شركتها الوطنيَّة مؤخَّراً بعرسها الذهبي فهنَّأناها بهذا الموسم البهيج ووعدنا ان نفرد لتاريخ الشركة العموميَّة مقالة ها نحن نقوم بوعدنا فنسرد بجمل اخبارها في هذه الصفحات ليرى القرَّاء ما عملتهُ شركة واحدة في الكنيسة من الاعمال العظيمة ويقيسوا عليها بقيَّة الجمعيَّات الخيريَّة التي يطول ذكرها

ولا نحتاج لعمري الى دليل بعيد لتأييد هذا القول فانَّ في الاستانة العليَّة وساحل الشام وانحاء فلسطين ووادي النيل ما ينطق لسان حالهِ بصحَّتهِ فانَّ اربعة اخماس المشروعات الخيريَّة التي تُرى فيها يقوم بها الكاثوليك من مستشفيات ومياتم ومستوصفات وملاجئ ومآوي ليليَّة وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين وايواء الغرباء وتربية اللقطاء وتهذيب الاحداث وعلاج المتوهين. فيصحُّ في كل آن تكرار قول الشهيد البديس لورنسيوس للمتصب الذي كان يطلب منهُ ان يدلَّهُ على كنوز الكنيسة: « ليس للكنيسة كنز آخر سوى الفقراء وذوي الاسقام »

*

في احدى ليالي الشتاء من سنة ١٨٣٣ كان نخبة من الشبَّان الكاثوليك مجتمعين في احد النوادي التي كان انشأها المسيو بالي (M. Bailly) من علماء باريس في عاصمة فرنسة لينشر بين الشبيبة العلوم العصريَّة موَّاخيةً لمبادئ الدين وكان اتى في تلك الليلة الى ناديهم بعض رصفائهم غير الكاثوليك الدارسين معهم في كليَّة باريس فوقعت بينهم مناظرة في العقائد حمي وطيسها الى أن قام أحد اولئك المدعوّين فقال: « كفاكم ايها الكاثوليك الافتخار باعمالكم فأروا شيئاً من اعمالكم فانَّ الشجرة تعرف من اثمارها على قول الانجيل ». فكانت هذه الكلمة اشبه بحربة في قلب البعض من

السامعين المتحمسين في الدين فصرخ واحد منهم: هيا بنا الى عمل الخير. وقاموا من ساعتهم وآلوا على نفسهم بان ينشئوا جمعية خيرية غايتها اعانة الفقراء وزيارتهم في اكواخهم لسدّ اعوازهم. وفي تلك الليلة ارادوا لهم شاهدًا على صدق عزمهم فانهم نقلوا ما كان بقي عندهم من الوقود الى طاقة فيرة لتصطلي به وقضوا آخر فصل الشتاء بلا نار. وما مرّ عليهم ايام قليلة حتى أنشأ ثمانية منهم شركة جعلوها تحت شفاعة القديس منصور دي پول إمام الجمعيات الخيرية في القرن السابع عشر الذي اختاره الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٨٩٦ كشفيع لكل الشركات الخيرية في العالم الكاثوليكي. وكان اولئك الشبان كلهم في ربيع العمر ليس بينهم الّا واحد تربى سنّهُ قليلًا على العشرين. وكان في مقدمهم فردريك اوزانام الشهم الهمام الذي كان جامعاً في شخصه كل صفات العقل والقلب فاشتهر مدة حياته كلها بعلمه الواسع وتُقاهُ لربه فوضع هؤلاء لفتهم قوانين مملوءة حكمة وتجرُّدًا واختاروا لهم استاذهم المسيو بالّي كرئيس لجماعتهم الخيرية وجعلوا لهم ايامًا معلومة يجتمعون فيها ليتباحثوا في حاجات البؤساء والطرائق الكافلة باسعافهم. وعيّنوا لكلّ فريق منهم بعض العيال من الساكين يزورها كل اسبوع ويحمل اليها ما امكنهُ من الحسنات

هكذا كانت بداية تلك الجمعية الصالحة التي أشبهت في نشأتها حبّة الخردل الانجيلية وهي اليوم تمدّ اغصانها الى اقاصي المعمور. وكان وضع اساسها في اواسط شهر ايار من السنة ١٨٣٣ ولم يكُن للاكليروس في انشائها مدخل الّا انّ اصحابها اتخذوا لهم بين ارباب الدين كهنةً وكلوا اليهم امورهم الروحية وارتشدوا بمشورتهم واستضاءوا بنبراس فضائلهم وعرضوا عليهم قوانينهم وصدّروهم في جلساتهم العمومية وهم مع ذلك مستقلّون في العمل وفي تنظيم جماعتهم. وكان مجموع ما انفقهُ اعضاء الجمعية من الدراهم على البائسين في سنتهم الاولى لم يبلغ الف فرنك اذ لم يكونوا اغنياء وهم وقتئذٍ من جملة الدارسين واكثرهم ليسوا من باريس وانما قصدوها لدروسهم مؤقتًا

وكان فكرهم ان يبقوا ثمانية تجمعهم رابطة الصداقة والدين الّا انّ المثل كما قيل مُعدٍ صالحًا كان او طالحًا فما لبث عددٌ من الشبان ان طلبوا الانضواء الى جماعتهم فتبارهم حتى ناف مجموعهم على المئة بعد سنة وازداد بذلك دخل الشركة فامكنهم ان يوسعوا نطاقها ويوزّعوا على المحتاجين مبلغ الفي فرنك. وكان من جملة بنود جمعيتهم

أن لا ترصد من المبلغ المجموع شيئاً لمستقبل الجمعيَّة بل تصرفهُ كلَّهُ على البائسين متَّكلةً على قولهِ تعالى: أعطُوا تُعطَوا وبالكيل الذي تكيلون يُكال لكم ويُزاد. وقد ثبت ذلك بالحرف في شركة مار منصور فانها مُذ عُرفت غايتها وعلم ذوو الحميَّة والدين ما ترمي اليهِ من الاغراض الاجتماعيَّة الجليلة توارَدت اليها الحسنات وتقاطر اليها المشتركون من انحاء باريس وطلبوا بالحاح الانضمام اليها حتى ضاقت بهم معاهد الاجتماعات وقُضي على المسيو بالي ان ينشئ فروعاً جديدة لجمعيَّتهم فصارت فرعين ثم ثلاثة فروع ثم اكثر من ذلك فنتج عن هذا التقسيم انَّ الباريسيين زادوا اقبالاً على جمعيَّة مار منصور دي بول حتى بلغ عدد المنتمين اليها في السنة الرابعة ٢٣٧ شاباً في مقتبل العمر اقلعوا عن الملاهي التي اعتادوها وقت دروسهم ليوقفوا نفوسهم لعمل الخير وزيارة الفقراء ومساعدة البائسين وكان لكلّ فرع اجتماعاتهُ القانونيَّة يجري فيها على موجب القوانين المنشأة سابقاً . وكان متقدّمو كل فرع يعقدون جلسات خاصَّة يتَّفقون فيها على نظام واحد فيبقى الروح واحداً والغاية واحدة

وفي تلك الاثناء انهى بعض اولئك الشبَّان دروسهم في باريس فعادوا الى اوطانهم وكان اوَّل ما حاولوا انشاءهُ في مسقط رأسهم جمعيَّة كجمعيَّة باريس كانوا يشركونها بشركة العاصمة ويسيرون فيها على قوانين الجمعيَّة الأُمّ ويخصُّون قواهم ومالهم بخدمة المنكوبين. فكنتَ ترى في مدن ليون ونيم ورانّ وديجون وتولوز وناسي ومتس وليل وكهار جمعيّات ينعشها روح شركة باريس فتجاريها في كل مساعيها الخيريَّة

وكان الاساقفة في فرنسة ينظرون اوَّلاً الى الشركة بعين الحذر خوفاً من ان يسري الى اعضائها شيءٌ من روح العصر والاستبداد الديني الَّا انَّهم ما فتئوا ان تبيَّنوا صدق ايمانهم وشدَّة غيرتهم على الدين وطاعتهم التامَّة للرؤساء الروحيين فاخذوا من ثمَّ يشيدون في محامدهم ويطرّون اعمالهم ويحثُّون المؤمنين على الانتظام في سلكهم لاسيما بعد ان اطَّلع الحبر الروماني غريغوريوس السادس عشر على مآثر الشركة واصدر في اثباتها براءةً تاريخها ١٠ ايلول سنة ١٨٤٥ ضمَّنها الثناء الطيّب على همَّة رؤسائها وتراهة اعضائها ومنحهم جميعاً نعماً روحيَّة غزيرة. وشفع ذلك ببراءةٍ ثانية أُعطيت في السنة عينها في تاريخ ١٢ آب أيَّد فيها منطوق الرسالة الاولى واضاف اليها هبات جديدة من فيض الكنوز الرسوليَّة . فكان لهاتين البراءتين احسن وقع لدى المؤمنين

اجمالًا واصدر الاساقفة عدّة مناشير دعوا فيها رعاياهم الى موالاة الشركة ومناصرة اعضائها. فانتشرت اية انتشار ليس فقط في فرنسة بل في بقيّة انحاء اوربة.

وكان رئيسها الاوّل المسيو بالي لا يألو جهده في تمكين اصول الشركة وتوسيع اشغالها وحفظ روحها. وسعى حفظًا لوحدتها في تنظيم مجالس شورى منها خاصّة في كل مدينة ومنها مركزيّة في كل دولة او ناحية وجعل مرجع الجميع الى مجلس شورى عامّ يُعقد سنويًا في باريس. وكان يكاتب بذاته او بمعاونيه المجالس المركزيّة والجمعيّات الخصوصيّة وفروعها فيشكر تارةً وتارةً ينشّط الهمم وحينًا يرشد وحينًا آخر يقوّم ما يرى من الاعوجاج. وكان في كل سنة يكتب رسالة عموميّة لكلّ الجمعيّة ليوقفها على سير الشركة ويؤدّي لها النصائح الابويّة ليزيد الاعضاء تفانيًا في سبيل الخير وخدمة المساكين. ولدينا كثير من هذه الرسائل التي تظنّها اذا قرأتها لاحد افاضل الاساقفة او آباء الكنيسة لا لرجل عالمي

على انّ تراكم الاشغال والتقدّم في السنّ دفعا المسيو بالي الى ان يطلب من شورى الجمعيّة ان تقبل استعفاءه سنة ١٨٤٤ فأجابوا الى طلبته آسفين فاختاروا له كخلف مُحسنًا ذائع الشهرة وكبير الهمّة المسيو غوسّان (Gossin) فباشر بالعمل بزيد النشاط. الّا انّ صحّته الضعيفة اضطرّته بعد ثلاث سنين الى تقدمة استعفائه فأُجيب مُلتمسه واقاموا بدلًا منه رجلًا متداماً ذا فهم متوقّد وحبّ ملتهب للفقراء كان هدفه الى اتمام واجبات دينه الاب دي راقينيان اليسوعي والواعظ الشهير في كاتدرا باريس المعروفة باسم «نوتردام» وهو احد الاشراف اسمهُ بودون دي موني (Baudon de Mony) فاستلم اشغال الشركة في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٧ وبقي على رئاستها نحو ٤٠ سنة الى غاية حزيران سنة ١٨٨٦ فتضى تلك المدّة الطويلة بجميع اعمال الرحمة التي خلّدت ذكره في قلوب مئات الالوف من البشر الذين عرفوا فضلهُ ونالوا صدقاته الوافرة. وقد سطّر سيرتهُ العجيبة احد كبار الكتبة الاب شالّ (Schall) فاجازتْ جمعيّة العلوم الفرنسويّة هذا الكتاب واهدت رسام الشرف لمؤلفه. والتآليف عبارة عن سلسلة متواصلة لكل المبرّات التي اتاها المسيو بودون تلطيفًا لاسقام البشريّة حبًّا به تعالى فقط

وكان فردريك اوزانام اكبر منشئي الشركة كساعد لرئيسها على عهد المسيو بالي اوّلًا ثم في ايام خلفيه المسيو غوسّان والمسيو بودون شاطرهم كل الاتعاب والمشقّات في

انجاح مساعيهم الخيريَّة ولم يزل يتنقَّل في انحاء فرنسة ويكتب ويخطب حتى كلَّل الله مساعيهُ بالنجاح التام. ثم رأى انَّ اعمال الخير لا تختصّ ببلدٍ واحد فرحل الى ايطالية وانكلترَّة وبلجيكة واسبانية وانشأ فيها كلَّها فروعاً لشركة مار منصور وانعشها بروح الدين والحبّ الخالص للقريب. وكان مع ذلك وزعيماً عن الاسقام التي تتناوبهُ لا يملّ من الكتابة يوماً فألف عدَّة تآليف خطيرة جُمعت في مجلَّدات عديدة تردان بها مكاتب الخاصَّة ونال بسببها امتيازات شتى وجوائز كبيرة كان يوزّعها على البائسين. بيد انَّ تلك الاشغال ما لبثت ان أنهكت قواهُ فابَى خالقهُ بعد مدَّة فمات ميتةً صالحة في مرسيلية والصلاة آخر ما تلفَّظت بهِ شفتاهُ وذلك في ٨ ايلول سنة ١٨٥٣ في يوم عيد ميلاد البتول الطاهرة التي كان متعبّدًا لها عبادة خاصَّة. فظهر اوزنام في موته اعظم منهُ في حياتهِ فافاض الكل في حسن سجاياهُ وشرف نفسهِ وزهدهِ في العالم وتفانيهِ في خدمة ابناء جنسهِ كما اطرأوا وفرة اعمالهِ الادبيَّة والاجتماعيَّة مع ان عمرهُ لم يتجاوز الاربعين

وكانت جمعيَّة مار منصور يوم وفاة منشئها الاوَّل قد بلغت مقاماً اثيلًا وكل محبي الخير ينزون اليها بعين الرضى والاعجاب. وقد ظهرت محاسنها في العام المقبل لمَّا استدعى بيوس التاسع رئيسها وعمدتها الخاصَّة الى رومية وباركهم بركةً واسعة وناولهم القربان الاقدس بيدهِ واسترسل في الثناء على همتهم وتبرَّع على جمعيَّتهم بمبلغ ١٣,٥٠٠ فرنك مع ما كان عليهِ الكرسي الرسولي في ذاك الوقت من الضيق. وتهلَّل البابا فرحاً لمَّا سمع خلاصة اعمال تلك الشركة الزاهرة التي بلغ اوانئذٍ عدد اعضائها عشرات الوف بعد ان كانوا ثمانية في بدء الامر وكانت فروع الجمعيَّة منبثَّة في كل الاصقاع وعددها ٢٨١٤ فرعاً بحيث تناولت فروعها كل ممالك اوربَّة وكثيرًا من بلاد اميركة وآسية وافريقية واستراليا اما وارداتها السنويَّة فكانت تبلغ نيفاً وثلاثة ملايين من الفرنكات وكانت لم تتجاوز كما سبق الف فرنك في السنة الاولى

فماذ اصحاب العمدة من رومية وصدورهم تتأجج غيرةً لمواصلة اعمالهم الخيريَّة وتنميتها شاكرين لإمام الاحبار الذي منح للجمعيَّة ثلاث براءات اعربت عن سموّ رضاهُ عنهم وخوَّلهم من الانعامات والامتيازات ما زاد في نشاطهم وضاعف همهم في مؤاساة اخوتهم المحتاجين وجعل لهم في رومية كردينالًا محامياً ينظر في شؤون شركتهم

ولم يكن همّهم الوحيد زيارة العيال الفقيرة واسعافها بالصدقات بل اضافوا الى ذلك اعمالاً أخرى شريفة أنفقوا في إنشائها الملايين من الفرنكات كمآوي للاطفال اللقطاء وملاجئ ليل للفراء ومدارس مجانية لتثقيف الصغار ومعامل صناعيّة يتعلّم فيها اولاد الفقراء حِرَفاً يرتزقون بها لمعاشهم ومطابخ اقتصاديّة لمن يعدمون القوت اليومي ومخازن يوزّعون فيها الكسوة الضروريّة للمحتاجين ومستوصفات للمرضى والمحبوسين ومنازل للعجزة ومدارس ليليّة وغرف قراءة ونوادي للجنود وغير ذلك من اعمال الرحمة التي كانوا يأتونها لخدمة القريب دون تميز المذاهب والاديان

وفي السنة ١٨٨٣ أقامت الجمعيّة اعيادًا شائقة بنسبة يوبيلها الذهبي فاوفدت الفروع الخاصّة من كل انحاء المعمور وفودًا يمثلونها في باريس حيث ظهرت لكل العيان عجائب المحبة الكاثوليكيّة التي جمعت في وحدة العمل والغاية الشريفة اناسًا من كل الاقطار وكافّة لغات العالم. وكذلك جرت في رومية مظاهرات فخيمة فكرّر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر آيات حبّ الكرسي الرسولي لجمعيّة مار منصور دي بول ووهب رئيسها وسام كرمندور القديس غريغوريوس الكبير. ولمّا كتب في العام التالي منشورهُ الشهير في حالة النَعَمة أثنى فيه اطيب ثناء على شركة مار منصور وحرّض الكاثوليك على الاقتداء بآثار اصحابها. وكان بلغ في سنة العيد الذهبي عدد المنتمين الى الشركة نحو ٧٠,٠٠٠ يوزّعون اكثر من ٣٠٠٠ جماعة محليّة ويجمعون في السنة نيفاً وثمانية ملايين من الفرنكات يوزّعونها على ١٢٠,٠٠٠ عائلة. امّا مجموع ما كانوا فرّقوهُ في سبيل البرّ منذ ابتداء الجمعيّة فكان يفيف على مئة وثلاثين مليونًا من الفرنكات. وكان قوم من اعداء الكنيسة اذ رأوا ما ينال الدين من الفخر بسبب جمعيّة مار منصور جعلوا يناصبونها ويغرون الحكومة الفرنسويّة على أصحابها فضايق عمّال الدولة على رؤسائها وسعوا في تشتيت نظامها الّا انّ كثيرين من الكتبة والخطباء والسياسيين اخذوا بناصر الجمعيّة ونفوا عنها الشكايات الباطلة التي موّه بها اعداء الدين وجه الحقيقة ولم يزالوا يدافعون عن حقوقها ويذبّون عن حوزتها حتى افحموا معاديها واعلنوا بفضل اربابها العميم

ثم عادت الجمعيّة الى اعمالها الخيريّة بنشاط غريب فأقبل عدد لا يُحصى من المحسنين وطلبوا ان يشتركوا معها. فطرق المسيو بودون ابوابًا جديدة من الخير قام بها اصحاب

الشركة كتربية اليتامى وتعليم الجهّال اصول الدين وتنظيم الزواجات غير القانونيّة ودفن الموتى والصلاة على نفوسهم

ولمّا اعتزل المسيو بردون اشغال الجمعيّة في السنة ١٨٨٦ كما سبق لنرعُك صحّته وكبر سنّه (وكانت وفاتهُ في ٩ حزيران ١٨٨٨) قام باعباء عمله المسيو باجس (A. Pagés) اتّفقت اصوات الشورى على القاء مقاليد الشركة الى درايته وهمّته القعساء فتعقّب آثار سلفهِ بجميّة وبذل نفسهُ في إنجاحها . ووقعت في تلك الاثناء سنة اليوبيل الكهنوتي للاون الثالث عشر فعقد الموسيو باجس في رومية حفلة كبيرة حضرها ١٥٠٠ نائب من فروع الشركة المنبثّة في اربع خوافق الدنيا ثم حظوا بالمثول امام الحبر الاعظم وتقبيل اقدامهِ في ٨ شباط سنة ١٨٨٨ فوجد البابا في عددهم وغيرتهم تعزية عظيمة ولاسيما اذ قدّم لهُ الرئيس قطرًا بديعًا كان يحوي اسماء كل فروع الشركة في العالم باجمعهِ وهي بالغة ٤,٢٠٠ فرع تضمّ اليها نيّفًا و ٨٣,٣٠٠ من المشتركين ينيف مجموع حسناتهم على عشرة ملايين من الفرنكات قضى امام الاحبار العجب من نموّهم وكثرة اعمالهم فزوّدهم باغزر بركاته الرسولية

ومنذ تلك السنة لم تبرد همّة جماعة مار منصور بل كانت تزيد عامًا بعد عام عددًا وجودًا. ولمّا اغتالت المنيّة في ١٨ ايلول سنة ١٩٠٣ المسيو باجس دُعي الى رئاسة الجمعيّة المسيو بولس كالون (P. Calon) وهو رئيسها الحالي الذي يقتصّ آثار اسلافهِ فزادت الشركة بحسن سعيهِ نموًّا وفضلًا وقد وقفنا على لائحة الجمعيّة ومجموع وارداتها وصادراتها للسنة الماضية فاذا هي بالغة عددًا لا يكاد يصدّقهُ القارئ لولا تفاصيلهُ بلدًا فبلدًا فانّ مجموع المبالغ التي جادت بها المشتركون خمسة عشر مليونًا من الفرنكات وُزّع منها ثلاثة عشر مليونًا ونصف على المعوزين وذوي الاسقام والمصابين بكل انواع الآفات. وفرنسة وحدها مع كثرة مبرّاتها الخارجة تدفع الثلث من هذا المبلغ العظيم. امّا مراكز الجمعيّة وفروعها فبالغة ٦٠٠٠ ينيف عدد المشتركين فيها على ١٠٠,٠٠٠ وكلّها مرتبطة بروابط الالفة والاتحاد مع المجلس الاعلى في باريس تجري في جمع الصدقات وتوزيعها على القوانين العموميّة التي وُضعت قبل ٧٥ سنة. والاعضاء مع اهتمامهم باسعاف القريب لا ينسون العناية بتقديس نفوسهم فلهم في اجتماعاتهم صلوات يتلونها وقراءات روحية يسمعونها ويحضرون سويّة الذبيحة الطاهرة وفي كل سنة يُدعَون

الى رياضات تقويّة وممارسات دينيّة من شأنها ان تنمو في قلوبهم نار المحبّة في خدمة ربّهم واعانة قريبهم

*

وكان بودّنا ان نتتبّع ولو بوصف وجيز اعمال شركة مار منصور في كل مملكة ودولة ليقف القرّاء على ما أنتهُ من المشاريع الخيريّة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيّة غير انّ ذاك الوصف مهما كان قليلًا لا تحصرهُ المجلّدات فكيف بالصفحات . وانّما نذكر هنا الفروع الشرقية التي نمت بيننا من تلك الدوحة الوارفة الافنان

وعلى ما يظهر لنا انّ الابتانة العلية كانت اوّل مركز في الشرق لشركة مار منصور وذلك سنة ١٨٥٤ بعد حرب القريم فكان لزيارات الاخوة للمنكوبين ولاسعاف الفقراء على اختلاف نِحَلهم احسن وقع في قلوب اهل العاصمة عموماً حتى انّ كثيرين تبرّعوا بمالهم بيد سخيّة ليوزّعها ايضاء الجمعية على المحتاجين . وفروعها اليوم ستّة

وما لبثت ازمير أن اقتدت بمثال الاستانة فأُنشئت فيها فئة للجمعية أتت بثمار شهيّة تحت ادارة الآباء اللازريين ثم نمت فانقسمت الى فرعين

اما قطر الشام فكان فيه فضل التقدّم لمدينة بيروت في عقد اوّل شركة لجمعية مار منصور وكان تاريخ انشاء ذلك الفرع في ٧ أيار سنة ١٨٦٠ اعني قبل حوادث الشام ولبنان المحزنة بنحو شهر فقط بعد ان اتّفق عليه خمسة رجال من الطوائف الكاثوليكية في المدينة اعني بهم الافاضل بطرس ديشان اللاتيني وراجي ادّه ونقولا قاطي المارونيّان وانطون عيد صبّاغ الروم الكاثوليكي الملكي وميخائيل فرج الله الارمني اجتمعوا لاوّل مرّة في دير الآباء اليسوعيين القديم بحضور رئيس الرهبانيّة اليسوعية العام الاب رينيه استيف الشهير بالاب سابلن واختاروا لرئاسة الشركة بالصوت الحي بطرس ديشان

ومنذ ذاك الوقت اخذت الشركة البيروتية تنمو وتزداد وتُثنى بكل اعمال الصلاح على مألوف عادة الجمعيّة العموميّة وانضوى اليها قوم من الاشراف وذوي الرتب السامية الدينيّة والعالميّة منهم بطاركة كالسيّدين يوسف والرغا وغريغوريوس يوسف الاوّل واساقفة كالسيّدين طوبيّا عون وانطونيوس قندلفت ومنهم متصرّفون في لبنان كالمرحومين فرانقو باشا وواصا باشا ومنهم قناصل دول وامراء وشيوخ كجورج لورلّا ونقولا بك سيوفي والامير فارس شهاب والكنت نصر الله دي طرّازي والشيخ شديد

بك حبيش وغيرهم كثيرين تجد اسماءهم مُدوَّنة في خلاصة اعمال الشركة السنويَّة

وبعد قليل ضاق نادي الجمعيَّة بالاعضاء فقُسمت الشركة الى عدَّة فروع خاصَّة تبلغ اليوم خمسة وهي جمعيَّات قلب يسوع ومريم العذراء ومار يوسف والقديس لوقا والقديس جرجس تجمع في كل سنة نيفًا و ١٥,٠٠٠ غرش يصرفونها في سبيل البرّ وان حُسب مجموع ما انفقتهُ الجمعيَّة منذ نشأتها الى اليوم كاد يبلغ ثلاثة ملايين من الغروش. فكفى بذلك دليلًا على عظم فضل الجمعيَّة ووفرة مبرَّاتها جازى الله المشتركين فيها وكل المحسنين اليها الف خير. وقد قام الاخوة ما عدا زيارة الفقراء باعمال خيريَّة اخرى متعدِّدة ففتحوا معهدًا لليتامى ومكاتب مجانية للصغار وناديًا لرعاية العملة ومدارس للاحد وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي اكسبت شركتهم اعتبار العموم دون استثناء. وقد اصدرت الجمعيَّة نشرةً شهريَّة ظهرت سنة ١٨٦٣ كانت تحتوي فصولًا مفيدة وكانت نشرت قوانينها اوَّلًا سنة ١٨٦١ واعادت طبعها موسَّعةً سنة ١٨٦٣ في مطبعتنا

وقد دبَّر الجمعيَّة في هذا نصف القرن رجال ذوو عقل صائب ودين واسع وتراهة تامَّة وكرم حاتمي نذكر منهم المرحومين بطرس ديشان (P. Deschamps) الذي اضحى اسمهُ مرادفًا للغيرة والاحسان فانعم عليهِ الحبر الاعظم بوسام «البابا والكنيسة» ويوسف برطاليس (J. Portalis) مثال الرأفة والبرّ. وراجي ادّه الذي تفانى في خدمة الشركة ٣٠ سنة بلا ملل. وبشاره الخوري الذي سردنا في المشرق (٣: ٩٧ — ١١) اعمالهُ الطيِّبة. وغير هؤلاء ممَّن حفظت الجمعيَّة اسماءهم في سجلَّاتها بل طبعت ذكرهم في صفحات قلوب اعضائها إذ ادَّوا لها من الخدم المشكورة كالآباء اليسوعيين هنري دي برونيار (H. de Prunières) وفرنسيس بدور (F. Badour) وبولس غرنيه (P. Garnier) والخوريين الفاضلين جبرائيل ملحمه واغناطيوس الحايج

ولا عجب بعدما قلنا ان تكون الجمعية البيروتية نالت غير مرَّة من فضل القصَّاد الرسوليين في سوريَّة الثناء الطيِّب على مساعيها بل تلطُّف الحبر الاعظم بيوس التاسع وأعرب عن سموّ رضاهُ من الشركة واعمالها في براءة تاريخها ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٧٠. وقد جاء في الشهر المنصرم دليل جديد على تعطفات نائب المسيح على الارض اذ ورد الجمعيةَ رقيمٌ بخطايد قداسة الحبر الاعظم يهنّئ فيهِ الجمعية على بلوغها السنة الخمسين

ويمنح اعضاءها البركة الرسولية وغفرانًا كاملًا على الشروط المعتادة

ومما يعود فضلهُ نوعًا الى شركة مار منصور في بيروت أنها كانت اكبر محرّك لانتشار الجمعيات الخيريّة في هذه البلاد بمثل ذويها وتحريضاتهم شفاهًا وكتابًا. وكان الدمشقيون اسرع من غيرهم في اقتفاء معالم شركة بيروت فأنشأوا جمعية ازهرت واثمرت بزمن قليل حتى اضطرّوا الى قسمتها الى عدّة فروع تبلغ في يومنا الستّة ومدخولها يقيف على ٢٠,٥٠٠ غرش في السنة. ومثلها في النجاح ووفرة الواردات الفروع الاربعة من جمعية مار منصور في زحلة والمعلقة التي تتصدّق على المحتاجين كل سنة بأزيد من عشرة الاف غرش. وكذلك الشهباء. فانّ جمعيتها المنشأة سنة ١٨٩٨ بهمّة الآباء اليسوعيين على قدم من النجاح لها بعد بيروت المقام الثاني في كثرة الاحسانات على المساكين فانّها صرفت في العام السابق نحو ٣٠,٠٠٠ غرش في اعمال الخير. وفي غزير جمعية تحت ادارة الآباء اليسوعيين تسكب في السنة في حجر الفقراء ٢٦٠٠ غرش. ويقال انّ مثلها في بسكنتا

وفي مصر والاسكندريّة وطنطا والمنيا جمعيات خيريّة لمار منصور دي بول كما في الشام اكبرها جمعية القاهرة المنقسمة الى اربعة فروع توزّع على البائسين كل سنة اكثر من ٧٠,٠٠٠ غرش يليها جمعية الاسكندريّة البالغ واردها فوق ٤٠,٠٠٠ غرش يوزّعها الاعضاء على ذوي الحاجات

وفي فلسطين ثلاث جمعيّات لمار منصور في القدس الشريف وبيت لحم ويافا لم نقف على وارداتها. وكذلك في آطنة جمعية يبلغ مصروفها السنوي على الفقراء ٨,٠٠٠ غرش

فترى من هذا النظر الاجمالي ما جرى بواسطة جمعية مار منصور من البرّات العديدة التي تبهج القلوب سرورًا وتثلج الصدور فرحًا وتعزّي الانسان عمّا يأتيهِ الاشرار والفرسون من الاعمال السيئة فانّ ابناء الله ليسوا باقل في البنيان والعمران من ابناء الظلمات في خراب صرح المجتمع الانساني. فالله نسأل ان يزيد عدد الصالحين فانّهم ملح العالم ولولاهم لانتشر الفساد وعمّ الدمار

ويسرّنا ان نختم هذه الاسطر بنقل فقرات من خطبة للحبر الاعظم بيوس العاشر القاها في نيسان المنصرم في مجمع عام عقدهُ لاستقبال عمدة جمعية مار منصور فقدّم

رئيسهم باسم الجمعية لقداسته التهاني بمناسبة اليوبيل الحبري (١ . فاجاب كبير الاحبار:

« فنحن نحييكم بالسلام يا أبناء شركة القديس منصور دي بول الاعزاء ونشكركم على التعزية التي تقدمونها لقلبنا ليس فقط بالتهاني التي أعربتم لنا عنها بمناسبة يوبيلنا الكهنوتي بل ايضاً بأعمال خيركم وثمار بركم . أجل ان حبة الخردل التي زرعها فردريك أوزانام سنة ١٨٣٣ صارت شجرة عظيمة باسقة فاشرة اغصانها على العالم باسره فها قد مضى على شركة القديس منصور دي بول ٧٦ سنة وهي لا تزال زاهية في فرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندة وسويسرة وجهات اميركا الشمالية والجنوبية والكاندا واستراليا حتى في بولونيا الروسية والكنغو البلجيكي وبذلك أصبحت ملجأ لجميع المتتلمذين للخير المتجندين لاعمال الرحمة من جميع أمم الارض.

« فنحن نسر سكم ايها الابناء الاعزاء بهذا النجاح العجيب الذي نرغب في ان نراه دائماً في شركتكم ولذلك اننا نوصيكم بان تكونوا قبل كل شيء رجال المحبة الفاعلة بواسطة الايمان . وفي اعمالكم الخيرية اسألوا الله ان يرشدكم لانهُ اذا ارتفعت أيديكم كل يوم نحو العلي بواجب الصلاة قبل ان تمدوها نحو أنواع الشقاء البشري لتختنقوها تنالون قوة وعوناً لتقبلوا بالنفوس الشاردة الى الحق سبحانهُ وتعالى . فلتكن حسناتكم لا كحسنات بقية الناس بل حسنات رجال مسيحيين ينظرون في الفقير شيئاً مقدساً ليس فقط لانهُ مخلوق على صورة الله بل لكونهِ يمثل شخص المسيح مخلصنا والهنا . . .

« أنتم تزورون وتساعدون يسوع المسيح بشخص الفقراء ثم انكم تصادفون أحياناً في زياراتكم الخيرية جميع البلايا الطبيعية مضافة الى البلايا الادبية وتلقون اناساً تساء سالقطين في وهدة الكفر والخلاعة مأسورين للخطية غاطسين في الفساد والرذيلة وقساوة الكلام أناساً حرموا ذواتهم بنفوسهم من المبرات الحقيقية الدائمة وأصبحوا بعيدين عن الايمان وعن الكنيسة والاسرار . لكن ثقوا بالله لان ملائكة السلام ترافق خطواتكم نحو هؤلاء المتكودي الحظ الساكنين الذين وعما من شقائهم العظيم وذلهم المفرط يحفظون في قلوبهم ونفوسهم كنوزاً مخفية من بقايا صفات طبيعية نادرة الوجود ومن استعدادات حسنة نحو الفضيلة بل تجدون وسم العماد المقدس حياً في نفوسهم وبقايا الدين والايمان لا تزال منتشة في اعماقهم فيسهل اذن على محبتكم المملوءة حناناً وصبراً ان ترجو بل ان تتحقق خلاصهم . . . »

« ان الروح الشرير يلقي في قلوب الكثير من الاشقياء الريبة من الكاهن والبغض لهُ فيعرقل كل مساعيه الخيرية سادًّا في وجهه بحيل جهنمية كل الابواب لئلا يقرب النفوس ويخلصها . اما أبناء القديس منصور دي بول فيتسترون وتحت ثوب العلمانيين ولذلك يسهل عليهم الدخول في البيوت حيث يعدُّون الطرق للكاهن الذي يستطيع الوصول بواسطتهم بدون مانع الى النفوس وهكذا يفعل ابناء القديس منصور دي بول بواسطة زياراتهم للبيوت فيأتون بأيام قلائل في الرعايا المسيحية ما تأتيه غيرة الراعي الرسولية من الخير مدة سنين طويلة كيف لا

---

١) الطلب مجلة الجماعة ١٩١٠ ص ١٣٣ – ١٣٦.

أيها الابناء الاعزاء ونرى ان الله يشاء ان يأتي براسطتكم أعمالاً عجيبة نظير عماد غير المؤمنين وتثبيت الحديثين في الايمان وزوال التسرُّر بالزواج للقدس وهداية المراطقة وارجاع الخطأة الى التوبة والتقدم المتواتر الى سرِّي التوبة والقربان الاقدس وبناء الكنائس وتأسيس المدارس المسيحية الخ . فهذه هي ايها الابناء الاعزاء الانتصارات الباهرة التي تأتيها نعمة الله براسطتكم . . .

وختم ذلك بالادعية الحارَّة لنموّ الجمعية واتزل عليها وعلى كل مؤلزريها اوفر بركات ابي المواهب التي نستمدّها نحن ايضاً من صميم القلب لكل عملة الخير وبالخصوص لكلّ من نشروا في بلادنا لواء المحبة للقريب تحت شفاعة مار منصور طالبين من اله الرحمة أن يثيب المتوفين منهم ثواب الرب الكريم الذي لم يترك دون جزاء فلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمه وان يفيض اسبغ نعمه على القائمين بعدهم بهذا المشروع الجليل ولاسيما الذين ترأسوا سابقاً الشركة البيروتية مع جناب رئيسهم الحالي المفضال القانوني البارع انطون بك شحيبر كي تزداد الجمعيَّة في أيامه عدداً وفضلاً امين اللهمَّ امين

---

# سفينة بطرس

بقلم حضرة المؤرخ رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة

دَعْ ذكرَ أطلالٍ أبَتْ تتَرمَّمُ ... واترك حُداةً بالجمالِ ترنَّموا
وذرِ العقيقَ وحَوملًا والرُّقْتَيْنِ ... لِحالفٍ بَدْوٍ باللوى يتنعَّمُ
واهجرْ سُعادَ وعبلةً وعُنَيْزةً ... إنَّا لفي عصرٍ يجلُّ ويكرمُ
فاسألْ لنا بكرَ القوافي مُنشدًا ... فَضلَ الخطاب فقدرُ شعرك يُعظَمُ
وأسرد مواعيد المسيح لبطرسٍ ... بعد السؤال كن أنى يَستَفهِمُ
سمعانُ يا سمعانُ قُلْ لي مخلصاً ... أتحبني ؟ . . . فأجاب أنك تعلمُ
فأجابهُ : انت الصفاةُ وفوقها ... أبني أساسَ كنيسةٍ لا تُهدَمُ
واليك ألقي بالقسالد واعدًا ... أيدًا فلن تقوى عليك جهنَّمُ
ما قد حللتَ أحلَّهُ وربطتَهُ ... أنا رابط او ما تُحَرِّمُ يُحرَمُ

إحرس خرافي واحتفظ بحظيرتي ... فعصا رعايتها اليك تُسلَّمُ
انا معكمُ لِلمنتهى لا تجزعوا ... فثقوا بوعدي وَاثبتوا لا تسأموا
فاذا اضطُهِدتم فافرحوا وتهلّلوا ... فلكم بدار الخلد اجرٌ اعظمُ . . .
عبثًا يريش بنو الظلام نِبالَهم ... فتبحرهم منها النِصالُ تُحَطَّمُ
كم غارةٍ شعواء شنُّوا فانثنوا ... وقلوبهم من خيبة تتحدَّمُ
نسجوا عَلَى غول النفاقِ جَلابيًا ... للدين منها الأونُ اسودُ أسحمُ
حبطت مساعيهم وبان خداعهمُ ... والافكُ شفَّافٌ لدى مَن يَفهمُ
فتستَّروا كَوَطاوطٍ خوف الضيا ... والبومُ يزعجُهُ الشعاعُ ويُؤلمُ
قد حاولوا نحو الشرائع قَصد أن ... يحلو لهم جوٌّ وتُكسَرُ ألجُمُ
أنفَ الشكيمةَ جامحٌ متمرِّدٌ ... والشرعُ يقتصُّ الزَّنيمُ المُجرِمُ
واللصُّ يبغي لو تُبادُ عدالةٌ ... والنُّور في اجفانِ أرمدَ حِضرِمِ
والطهرُ في كبد الفاسد حربةٌ ... والشهدُ في مُعتلّ ذوقٍ عَلقَمُ
قالوا : العدوُّ كنيسةٌ فتحالفوا ... يا قومنا وتكاتفوا وتنظَّموا
لا تذخروا كذبًا ولا غدرًا ولا ... لؤمًا ولا عِرضًا ولا . . . لا ترحموا
وخذوا الوسائلَ في فساد شبيبةٍ ... دكُّوا البناء من الأساسات اهدِموا
غَشَّت ضغائنُهم على ابصارهم ... فدجا النهارُ وجنَّ ليلٌ مظلمُ
بهم الأذيَّةُ فطرةٌ كقتادِ ... كيف انثنوا نشبوا رياشًا تكلمُ
لا يذكرون سوى عيوب لفقت ... انَّ الذُّباب على القُروحِ يُحوِّمُ
ان شاهدوا قسًّا نظيفًا ثوبُهُ ... صرخوا: اصلبوهُ ويلهُ يتنعَّمُ
وإذا رأوا متقشفًا متزهدًا ... قالوا: ضنينٌ يشتريهِ الدرهمُ
أو أبصروا رُسل السلام بمنزلٍ ... بهم المساوئُ والفسادَ توهَّموا
او عاينوا متنحيًا مُستأسرًا ... بكتابهِ قالوا : امروه مُتعظِّمُ
زعموا : رجالُ الدين قومُ سياسةٍ ... فتضوا عليهم بالسكوت وألزموا
قالوا لهم: صوموا وصلُّوا واسجدوا ... ولنا اخضعوا وعَلَى ارادتنا أختموا
لا تبرحوا بابَ المعابد واصمتوا ... صَمتًا أتمَّ اذا أتينا نَلهمُ
ناجوا الالهَ وسِرُّهُ بسرِّكم ... وحذارِ ثم حذارِ أن تتكلَّموا

لا تنظروا لا تسمعوا لا تنطقوا ... لا تغضبوا إن شئتمُ أن تسلموا...
واذا رنا شزرًا اليهم دهرهم ... هرّوا الى أبوابهم واستَرْحموا
ملأوا الفضاء تشدُّقًا بمبادئٍ ... ولهم تُغيِّرُ كلَّ آنٍ أنفُسُ
ما كان منذ الامس أبيضَ ناصعًا ... أضحى عليهِ اليومَ ثوبَ اقتمُ
فلتُترَكِ الحرباء تبدل لونها ... وشباطُ يُقشعُ تارةً ويُغيّمُ
كم من صبيٍّ لا يُجيد قراءةً ... قد هبَّ في اسمى المعارف يحكمُ
فقد ادَّعوا فهمًا وعلمًا باهرًا ... فأصخ تجدهم ببغاء تُتمتمُ
تحذوا المنابر والجرائد ساعدًا ... ومُساعِدًا في ما القلوبَ يُسمّمُ
يدري بارجاء النوادي منهمُ ... كفرٌ واقوالُ الخنى وتهكُّمُ
تغلو الحجارة لو أردنا كلّما ... فقروا شُدوقًا بالحجارة نلقمُ
فجوابنا حفظ السكوت ترفُّعًا ... عن أن ينازلنا العَيِيُّ الطِمْطِمُ
أيرومُ آلُ الغيّ دكَّ كنيسةٍ ... ولَساسُها في جلمدٍ لا يُثلَمُ
مضت السنونَ مع القرونِ ولم تزل ... في صلد صخرتها القرونُ تحطَّمُ
ألفانِ بل آلافُ اعوامٍ خلت ... وبنو الغَوى شحناؤهم تتضرَّمُ
كم حملةٍ حملوا فعادوا نُكَّصًا ... والقلبُ مكلومٌ وعينٌ تسجمُ
هذي سفينةُ بطرسٍ ما راعها ... إعصارُ عصرٍ اوخِضَمُّ خِضرمُ
كفُّ الاله تقودُها وتديرها ... أيهولُها بحرٌ يعجُّ ويلطمُ
ندري ونعلمُ مُقبلًا من مُدبرٍ ... فمن الغداةِ الأمسِ قامَ يترجمُ
لا يدّعِ في ما نالها وينالها ... فذواتُ أثمارٍ تُهزُّ وتُرجَمُ
واذا تكاتفت الخصومُ لحربها ... فلأنَّ مُلكَ جهنَّمٍ لا يُقسَمُ
والذئبُ لا يسطو على أمثالهِ ... أبدًا ولا لَسَعَ الافاعيَ أرقمُ
ومن الامور المُضحكاتِ المُبكيا ... تِ ضجيجُ فتيانٍ بما لم يعلَموا
رفعوا عقيرتهم وصاحوا بالورى ... قُوموا وهبّوا استيقظوا يا نوَّمُ
جاءتكمُ الحريّةُ الغرّاء في ... أيّام نُورٍ فامرحوا وتنعَّموا
ما الحِلُّ والتحريم غير خرافةٍ ... فبدارِ متنَ المُنكراتِ تسنَّموا
لكمُ الكنائسُ والقلانسُ والنفا ... سُ والذخائرُ والجواهرُ مَغنَمُ

حرّيةٌ حرّيةٌ يا قومنا فمن المحرَّم أن يُقالَ مُحرَّمُ
إنّا لفي عصرٍ جديدٍ يقتضي ديناً جديداً للخلاعة يَبسمُ
لا نهيَ فيهِ ولا أوامر آمرٍ أعمى أصمُّ أشلُّ أيدٍ أبكمُ
كفّوا أكفَّ قديمكم يا آلهُ كيما الى شهواتنا نستسلمُ
ما عيشنا وزراهُ فينا صارخاً: إن تمتطوا ثبج المعاصي تأثموا
دكّوهُ من أسٍّ لهُ وبهِ أدفنوا اربابهُ والنارَ فيهِ أضرموا
فلقد أقام لنا حواجز نهيهِ وغدت مبادئهُ تصدُّ وتلجمُ
هذا هو السببُ الذي من اجلهِ وثب الطلاحُ على الصلاحِ يُدمدِمُ
وَصَموا الديانةَ مدّعين بأنّها حجرٌ بهِ عثرَ الحجى وتقدَّمُ
يا بيةَ الامسِ أخفضوا اصواتكم كذبت ظنونكم وساء توهُّمُ
فالدينُ ركنُ تقدُّمٍ وتمدُّنٍ ولهُ بنشر العلم فضلٌ أقدمُ
رقّى الشعوب ولم يزل يرقاتها خصمُ التقهقرِ خِذنُ من يتقدَّمُ
عاشت مُساواةٌ وعاش إخاؤنا حرّيةٌ فبغي ولا نتبرَّمُ
نُخلي لها طيَّ الشفافِ منازلاً فالدينُ يأمرنا بذاك ويَرسمُ
أجهلتمُ تعليم مَن هو قائلٌ « فكبيركم مَن قام فيكم يَخدِمُ »
« أعطُنَّ قيصر ما لقيصرَ عندكم والله ما لله » أوفوا تَغنموا
حرّيةٌ وإخا مساواةٌ وما ضاهى زرعنا غرسها ونُقوِّمُ
أرواحُنا وجسومنا عنها فدًى لا تزعموا سوءاً بنا لا تزعموا
نحن الحصونُ لها ونحن جنودُها وحماتها وكُماتها لا أنتمُ
كنّا ولم نبرح نجاهر في الملا هذي الثلاثُ الى التقدُّمِ سُلَّمُ
قدّكمُ هذارٌ واتركوا ذرَّ الرما دِ لغاية سفلت وقصدٍ يأثمُ
فالدينُ أرفعُ من تناظر فئةٍ عَمهوا قلوباً عن محاسنهِ عَموا
أو ما يرون رجالهُ فلكم أتوا عملاً بهِ كلُّ البسيطة تنعمُ
كم عادَ حقٌّ ضائعٌ بجهادهم او راق معتكرٌ وأغمد يخذمُ
غلّوا يد الطاغي بجرأتهم كما فتحوا ذراعيهم لمن يتظلَّمُ
غوثُ الضعيفِ وغيثُ من هو بائسٌ هولُ البغاة وأمُّ من يتيتَّمُ

ونصيرُ ملهوفٍ وكوكبُ تائهٍ ... ولكلّ مكلوم الحشاشة بَلسمُ
قد طرّقوا جيد الانام مكارماً ... فسَلوا تواريخ التمدُّن تُفحموا
علمٌ . واعمالٌ . تُقىً . فضلٌ . هُدىً ... عَنهم . لهم . فيهم . اليهم . مِنهمُ
ما راعهم قطُّ البحارُ الزاخرا ... تُ ولا القفارُ ولا النَّوَى واللهذمُ
يَتسابقون الى الصلاحِ كأنما ... في بذل انفسهم يَلذُّ المطعَمُ
زَرعوا الحقائقَ في البلاد فأينعت ... اذ قام من شهدائهم يروي الدمُ
ما غاب عن أُفقِ الكنيسة نجمةٌ ... الّا تألّقَ في عُلاها أنجمُ
كلّا ولا أخلى العرينَ غضنفرٌ ... إلّا أنبرى يَحمي حماها ضيغمُ
ستظلّ ثابتةً الى يوم القضا ... وشبابُها متجدّدٌ لا يَهرَمُ
أبشر اذن يا مَن يسوءك قولها: ... « لا تَزنِ لا تسرق فربّك يَنقمُ »
تَبكي ونضحك من تقشُّر صبيةٍ ... زعموا بها حلَّ القضاء المبرَمُ
هذي السفينةُ ربُّها ربّانها ... تَزري بامواج تَهيجُ وتهجمُ
لم يجهلوا فضلًا لها فتجاهلوا ... « فالفضلُ مثل المسكِ لا يتكتَّمُ »
ساروا على سُبل الضلال تمرُّدًا ... « فالحقّ مثل الصبح لا يتلثَّمُ »
قد انكروا حسناتها لمقاصدٍ ... والله ادرى بالقلوب واعلمُ
ربّي أزحْ عنهم دياجير الغوى ... وبمجد برّكَ كل شيء يُختمُ

# والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

يقلم الاب انطون رباط اليسوعي ( تابع )

## الفصل الخامس

البكاء والندم

خرائب دور البرامكة . على جنب كومة من الحجارة

### المشهد الاوّل

سكوت وظلمة . يمرّ بعض الاشخصين كالمامون وغيره ينظرون الى الخرائب ثم جون من المرتلين يلبسون الحداد وينشدون الرثاء على لحن « الموالي » (١ و ينوحون على البرامكة

يا دارُ اين ملوك الارض اين القُرسْ  اين الذين حموها بالقنا والتُرسْ
قالت تراهم رِمَمْ تحتَ الاراضي الدُرسْ  وغراب البين اتى ووقوف حواليا (٢

( سكوت )

ياسر . ومسرور

ياسر  ولمَ اتيتَ بي الى خرائب البرامكة في هذا الليل المدلهمّ ؟

مسرور  إن الفضل بن الربيع لا يزال منذ تقلّد الوزارة (٣ حريصاً على قتل اصحاب البرامكة

ياسر  تبًّا لهُ من حسود ماكر لا يطيب لهُ عيش الّا اذا سفك الدماء ويتّم الاطفال وخرّب البلاد

---

١) قيل إن اول من انشد هذا الغناء بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم « يا موالي » وبالجمع « يا مواليا » فصار يعرف بهذا الاسم

٢) « الموالي » لاحدى جواري البرامكة ترثيهم

٣) استوزره الرشيد بعد الايقاع بالبرامكة

مسرور فقد أُعلِم أن قوماً يأتون ليلًا الى هذه الاطلال الشاخصة من دور البرامكة يُنشدون شعرًا ويَنوحون على مواليهم واسيادهم فعظم عليه الخطب واعلم به الرشيد فأمرني ان اتي واياك فنستتر بين الجدرلن فاذا جاءوا قبضنا عليهم (١

ياسر ألم يكتفِ الرشيد بما صنع باغراء وزيره هذا اللئيم. لقد قبض على البرامكة واستباح اموالهم وقتل منهم ومن حاشيتهم ومواليهم نحوًا من الف نفس ومثّل فيهم وشنّع ومَن بقي سالمًا لا يقدر على كسرة خبز (٢

مسرور او هل بقي احد منهم ؟ لقد افناهم عن آخرهم

ياسر بقي عبادة امّ جعفر ظنّ الرشيد نزاها في ثياب رثة تطوف الازقّة تسأل شيئاً تقتات به. وقد سمعتُها في يوم اضحى تطلب من المارّين جلد شاة تجعلهُ لها دثارًا وقد كنتُ رأيتها في مثل هذا اليوم وفي خدمتها اربعانة وصيفة في الخزّ والديباج. هذا مما يفتّت الاكباد و يصدع الحلاميد (٣. وقد بقي خلا عبادة ابن لجعفر

مسرور ابن لجعفر ؟ ألم تذبح ولديه سويّة مع العبّاسة بينما كنتُ افكُّ جعفرًا من قيد الحمار الذي قيدته به واجرّه خارجًا لأحزّ راسه (٤

ياسر دعني دعني فقد أثرت فيَّ خيالات طالما جهدت ان امحيها من فكري فلا تزال تتراءى لي كأني صنعتُ الساعة ما صنعت. هنا هنا تمّ الامر

مسرور وكيف كان ذلك ؟

ياسر لما اخذت الحسن والحسين تقدّم اليَّ جعفر . . .

مسرور ابن العلوي الذي تبنّاهُ البرامكة ؟

ياسر هو. فسألني أن ادع احدهما ينجو واقتلهُ عوضًا عنهُ واعطاني هذا الخاتم جزاء فرضيتُ

---

١) هذه القصّة نقلها المؤرخون جميعهم

٢) الاتليدي (١٧٤) والمسعودي (٦ : ٤٠٨)

٣) المسعودي (٦ : ٤٠٦) والاربلي (١١٠) والاتليدي (١٨٠)

٤) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

مسرور وبعد ؟

ياسر فذبحتهُ مع الحسين . ثم احضر الرشيد عشرة من الفعلة اجلادًا ودعا العباسة اخته فجزّ رأس ابنها في حضنها وهي تنوح وتعول واستلّ خنجرًا فطعنها . ثم جلس على كرسي وامرنا فوضعناها بجلالها وثيابها في صندوق وحفرنا هنا حفرةً فدفنّا الام والولدين ورددنا التراب (١

مسرور يا لها من قساوة يربريّة !

ياسر وزبيدة تنظر من خلال المقصورة فرحةً لما كان بينها وبين جعفر من العداوة (٢

مسرور وكيف لم يُنشر الخبر بواسطة الفعلة ؟

ياسر لان الرشيد امر بهم فخُيّطوا في جواليق وثقلوا بالصخر والحصى وزُجوا في وسط دجلة (٣

مسرور يا لله من هذا الامر الفظيع ! كيف وصلتَ يا ناقص القدر الى هذه الدناءة !

ياسر لا يحسن بك السب يا قاتل جعفر وانت سبب تكدير عيشي . انت بمكرك سهّلتَ عليَّ ركوب الكبائر . انت علّمتني الغدر . انت يا عبد السوء اغريتني على الانقياد للفضل ذلك الخائن المكّار فكفرتُ بنعم قوم اشراف واختلقت عليهم الاكاذيب فنجح مسعاك ومسعى شيطانك ابن الربيع وتركتني ذليلًا حقيرًا ينخزني الضمير بمهازه ويشدّ عليَّ بمخسه وزوازه

مسرور اكفف عن الشطط لسانك والّا تتلتك

ياسر فلتبكِ على عتاك البواكي يا عبد ونصف رُجيل اراك ستلقى هوانًا . ويحك ان قدّمت رجلًا او تجرّأت على كلمة سوء قبضتُ عليك واتيت بك مقيّدًا امام الرشيد فاعلمته بما عوّلت وابن الربيع عليهِ من اذلال الدولة العباسيّة وتسهيل الامر في الاندلس لبني امية . اتريد ؟

ياسر صهْ . وقعُ اقدام

مسرور امير المؤمنين ! وما اتى بهِ الآن الى هذا المكان ؟

---

١) الانليدي (١٠٧) اطلب ايضًا المؤرخين في وصف مقتل علية اخت الرشيد

٢) المسعودي (٦ : ٣٢٧) ٣) الانليدي (١٠٧)

## المشهد الثاني

الرشيد . الفضل . الاصمعي . اسحق . ياسر . مسرور

الرشيد لم يأتِ احدٌ بعد ؟

مسرور لا يا سيّدي

الرشيد اذهبا ( يتنحّى مسرور وياسر الى آخر المسرح )

الفضل ما هذا الارق الدائم . فانك لا تنام الليل (١

الرشيد لا ازال ضجراً حزيناً مغموماً

اسحق كيف يكون على قلبك ضجر او غمّ وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيلها وانت قادر عليها

الفضل هلمّ بنا من هذه الاماكن المخيفة نطلع فوق سطح قصرك ننظر الى النجوم واشتباكها وتلألئها وعلى القمر وحسن طلعته فقد آن وقت ظهوره

الرشيد لا تلتفت نفسي الى شيءٍ من ذلك

اسحق سرْ بنا الى الحديقة نتفرّج بين الاشجار ونتنسّم روائح الازهار ونسمع تغريد الاطيار

الرشيد لا يلذّني شيءٌ من هذا

اسحق اركب سفينتك على دجلة فترى المراكب المتسلسلة على المياه وتسمع حدو الملّاحين او فانزل الى الاصطبل فانظر الى الخيل العربيات وحسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشهب وكميت . . .

الرشيد ما تهمّ نفسي الى شيءٍ من هذا . دعني انظر الى آثار منازل البرامكة عسى الله يفرّج عني حزني . ما هذه الابيات ؟

اسحق كُتبت بفحمة على الجدار المنهدم (٢

الرشيد ( يقرأ ) :

يا منزلًا لعب الزمان باهلهِ فأبادهم بتفرّقٍ لا يُجمعُ

---

١) تجد في كثير من المؤرخين والرواة وصف ارق الرشيد

٢) الاتليدي ( ١٨٠ )

إنَّ الذين عهدتهم في ما مضى كان الزمانُ بهم يضرُّ وينفعُ
اصبحتَ تفزعُ من رآك وطالما كنا اليك من المخاوفِ نفزعُ
ذهب الذين يعاشُ في اكنافهم وبقي الذين حياتهم لا تنفعُ

الفضل أيقدم الناس على مدح البرامكة؟ لأصفعنَّ بمن كتبها وافعلنَّ

الرشيد دع عنك. صدق والله قائلها. مات يحيى وجعفر ومات الجود والكرم. لو كانا في الحياة لفرَّجت فيهما

الفضل ألا تزال تذكر اعداءك وتردّد هذه الافكار السيئة

الرشيد صهْ لا امَّ لك. احفظ يا اصمعي شعر الزبير بن دحمان؟

الاصمعي نعم

الرشيد أعدْهُ عليَّ (يجلس على حجر)

الاصمعي من للخصوم اذا جدّ الخصام بهم يومَ النزال ومن للضُّمَّر القودِ
وموقفٍ قد كفيتُ الناطقين به في مجمع من نواصي الناس مشهودِ
فرَّجتهُ بلسانٍ غير ملتبسٍ عند الحفاظ وقول غير مردودِ

الرشيد ويحك. كأن الشاعر يصف يحيى وجعفرًا (١

اسحق ما رأيتُ لك سرورًا منذ قتلتَ البرامكة. فلأي شيءٍ قتلتهم؟

الرشيد لو علمتُ ان قميصي يعرف السبب الذي قتلتهم به لاحرقتهُ (٢

الفضل قومٌ كفرةٌ انزلتَ عليهم عقوبتك

الرشيد أقالوا عليهم لا ابا لابيكم من الارم او سدُّوا المكان الذي سدُّوا
حملونا على نصحائنا وكفاتنا وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلمَّا صرنا الى ما ارادوا لم يغنوا عنهم (٣

---

١) اخبر صاحب الاغاني (١٧ : ٧٤) قال: كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الاسف عليهم والتندّم على ما فعلهُ بهم فقطن لذلك الزُبير بن دحمان وكان يغنّيه فغنّاه يوماً: «من للخصوم» فقال لهُ الرشيد: اعد فاعاد. فقال لهُ: ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف بهِ يحيى بن خالد وجعفر ابن يحيى. وبكى ووصل الزبير صلة سنية

٢) ابن بدرون (٢٢٥ و٢٢٦) والاربلي (١٠٦) نقلًا عن الصولي والميلاوي (٤٣) وابن خلكان (١٢٤).

٣) الميلاوي (٤٣)

الفضل انك يا امير المؤمنين منذ ابدتهم اصبحت اعظم الخلفاء لا يتعرّض لك احد في ملكك تقول للسحابة: أمطري حيث شئتِ فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجيء اليّ (١

الرشيد اني اتعب الخلفاء خاطرًا واعظم الناس همًّا وغمًّا (٢

الفضل لا موضع للغمّ وقد ساد السلم والامان في الدولة يوم ابطلتَ كيدهم ومكرهم

الرشيد ايُّ سلمٍ وايُّ أمنٍ وقد احاطت بنا الاعداء من كل وجه ونقض نففور العهود ثانيةً (٣ ظنًّا ان قد سقطت الدولة بسقوط البرامكة فتحرك الروم واحتشدوا واجمعوا على مبادأتنا بالغزو. اما البلاد فقد ثارت فيها الفتن والبدع وعظمت سلطة بني امية في الاندلس يهزأون بالرشيد ودولته وانت وزيري لم تستطع ان تكسر شوكتهم كما فعل جعفر. وهذا رافع بن الليث قد شقّ عصا الطاعة فتغلّب على سمرقند وقتل عاملنا وليس من يتجرأ على الخروج لمحاربته سواي (٤ اما ملك الفرنجة فلا ندري ما كانت نتيجة الوفود فان كان قد علم رسولنا عبد الله العلوي حقيد البرامكة بما حدث اثار في صدر زعيم النصارى نار الغيرة على الاخذ بالثار فوقعنا في شرّ بليّة من جميع الاطراف. من لي باحياء البرامكة فيردّوا المياه الى مجاريها

(سكوت)

هيهات ليس يُردُّ امسُ الى الغد — لا أمّن الله من اغراني على قتل البرامكة ما رأيتُ رخاء بعدهم ولا وجدت لذةً ولا سلامًا ولا راحة. لوددت لو شوطرتُ عمري وغُرّمت مالي وملكي وتركت البرامكة على حالهم (٥ . لكن قد قربت منيتي وحانت ساعتي فسيرى بعدي اولياء العهد ما يرون

١) مجاني (٣: ٩٨) نقلًا من كتاب الاعلام لقطب الدين النهروالي
٢) مجاني (٥: ٢١٧) نقلًا عن النهروالي
٣) الطبري (٦٦٦)
٤) الطبري (٧٠٧) والفخري (٣٦٦)
٥) الاربلي (١٠٧)

اسحق أعيذك بالله يا امير المؤمنين ان تقول هـذا. اني لارجو ان يبقيك الله لنا مدى الدهر

الرشيد تنحّوا عنا ( يبقى الرشيد واسحق في مقدّمة المسرح ) .

يا اسحق اني ميّتٌ عن قريب فقد اقترب صفر وهو الشهر الذي قتلتُ فيـهِ جعفرًا ويجيء فسأموت فيه

اسحق يا امير المؤمنين جَعَلَنا الله فداءك إني ارى دمًا ظاهرًا ووجهًا ناصعًا وشبابًا زائدًا ومنّةً قويّةً ورروحًا طيبة فعمّرك الله اكثر ممـا عمّر من ملوك الارض وفتح لك ما فتح على ذي القرنين ولا ارى رعيّتك فيك سوءا

الرشيد مل بنا قرب هذا الجدار حتى أسرّ اليك سرًّا كتمتهُ عن الجميع . امانةً في عنقك ألّا تخبر بما ألقي اليك احدًا

اسحق يا سيّدي هذه مخاطبة الاخ لاخيهِ وانا عبد يخاطبني مولاي مثل هذا ؟

الرشيد هنا على صدري وظهري قروح واريتها بخرق وادوية ومراهم

اسحق منذ كم هذا ؟

الرشيد ظهرت يوم قتلتُ جعفرًا وذويه

اسحق يا لله !

الرشيد ولم أطلع عليها الّا الفضل بن الربيع ومسرورًا ظنًّا بهما خيرًا فاما الفضل فقد اخبر الامين فوالله لئن بقيتُ لاتركنّهُ يهيم في طلب الخبز حتى يشغلـهُ ذلك عن اذاعة السرّ ومسرور قد اعلم المأمون بمأتي زلّتي . وما منهم احدٌ إلّا لهُ عينٌ عليّ . فاي حياة تصفو لي واعزُّ ولدي يحصي انفاسي ويستحثُّ علّتي . ولقد بلغ من تبرّمهم بي وبحياتي أني اذا أردتُ الركوب جاءوني يبرذون قطوف ليزيدوا في علّتي وجروحي فاكرهُ ان أظهرَ هذا لهم فيستوحشون مني ومتى استوحشوا أظهروا من العداوة ما كان باطنًا والعـامّةُ لهم ارجى والخاصّة اميَل وانا كالخائف بينهم أصبحُ فلا أطمع في المساء وأمسي فلا اطمع في الصباح (١

(١) الطبري (٧٢١) وابن الاثير (٦ : ٧٤) والاربلي (١٢٢)

اسحق سيداويك جبريل باذن الله

الرشيد هذا جزاء فتكي بالبرامكة فلا ينجع فيَّ دواء

ان الطبيب بطبّهِ ودوائهِ لا يستطيع دفاع محذور القضا

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبري مثلهُ فيما مضى (١

اسحق من ارادك بكيد اراهُ اللهُ ذلك الكيد في نفسهِ

الرشيد سمع الله دعاءك. والآن استحلفتك بالله ان تصدقني

اسحق سيدي

الرشيد انظر الى يدي. أترى عليها اثر دم ؟

اسحق لا إنها بيضاء كالثلج

الرشيد لا ازال اغسلها واطيبها ومع ذلك اراها ملطخة بالدم. انظر. ها اثر الدم

اسحق خيالات واوهام

الرشيد لا لا. هذا دم يحيى. هذا دم جعفر. هذا دم العباسة. هذا دم الاطفال. هذا دم البرامكة (باضطراب) اين انا ؟ ما هذا التراب المنثور. هنا قتلتُ اختي. هنا قتلتُ الحسن والحسين. هنا قُيّد جعفر بقيد البهائم. هنا القي اليَّ برأسهِ يشخب دماً — (يزداد اضطرابهُ) — دعني يا جعفر ما هذا السيف الذي لا تزال تسلّهُ عليَّ الليل والنهار. دعني وحق حبّنا القديم. دعني وحق اخوّتنا. كفرتُ بك. قتلتُ اولادك. سفكت دماءكم ظلماً وجوراً. دعني دعني (يرمي بنفسهِ على كتف اسحق والجميع يحيطون بهِ)

الفضل قد ألمَّ بالرشيد جِنّة يجب اطلاع الامين عليها

مسرور هذا مَسٌّ

الفضل صدقتَ

اسحق صه يا مكّار

الرشيد لا تذرّ عليَّ التراب يا يحيى. أقِلني أقِلني (يخرج كالهارب من يسار المرسح ويتبعهُ الجميع بسكوت)

---

١) كان الرشيد يردّد هذه الابيات وهو على فراش الموت (المسعودي ٦:٣٥٧)

## المشهد الثالث

عبدالله بن يحيى العلوي (يدخل من آخر المرسح بتحفظ)

عبد الله كأني سمعتُ صوتاً. لكن لا ارى احداً بين الحرائب
ما هذا الانقلاب. تركتُ منازل البرامكة يوم سرتُ رسولاً الى قاره ملك الفرنج جنّة الدنيا وزهرتها فالفيتها اطلالاً بالية وجدراناً شاخصة ينعق فيها البوم والخفافيش. تركتُ جعفراً يجرّ ثوب العزّ والفخار في المحافل مسوّدًا والى الخليفة موفدًا فاستقبلت شلوهُ على جسر بغداد جثّة شوّهها الموت تحوم عليها الغربان. هنا ودّعت ابي الجليل ولم ارَ منهُ الّا الجليل وقبّلتُ اخي جعفراً ولم ادرِ عندئذٍ أنا شقيقان من صُلب واحد فسرت يخفّ بي الامراء والقوّاد. اما الآن فعدت سرًّا والرشيد بثّ العيون على أثري واهدر دمي ولا اعلم هل ابي واخي في الحياة وبينما كنتُ اقطع القفار والبحار واكابد الاتعاب والاخطار توطيداً لملك الرشيد ورغبةً في عقد رباط المودّة بينهُ و بين زعيم الفرنجة كان الرشيد يسبي ويذبح ويقتل ويمثّل (يجلس)

يا أيها المغترُّ بالدهرِ والدهرُ ذو صُرُفٍ وذو غدرِ
لا تأمنِ الدهر وصولتهُ وكن من الدهر على حذرِ
ان كنت ذا جهلٍ بغرّتهِ فانظر الى المصلوب بالجسرِ
كان الوزيرُ القائم المرتضى رِدا النهى والفضل والذكرِ
وكانت الدنيا باقطارها اليهِ في البرّ وفي البحرِ
بينما كان جعفرٌ في ملكهِ عشيةَ الجمعة بالقصرِ

---

(١) اخذنا هذا المشهد عن رؤيا الرشيد وهو ذاهب الى طوس. اطلب الطبري (٣ : ٧٢٥) الخ وغيره وقابل مع المسعودي (٦ : ٣٢٠ و ٣٥٩). قال صاحب الاغاني (١٧ : ٤٦) : رأى الرشيد في نومهِ كأن امراة وقفت عليهِ واخذت كفّ تراب ثم قالت لهُ : هذه تربتك عن قريب. فامّح فزعاً وقصّ رؤياه. فقال لهُ اصحابهُ : وما هذا ؟ قد يرى الناس اكثر ممّا رايت واغلظ ثم لا يضرّ. فركب وقال : اني لارى الامر قد قرب. فبينما هو يسير اذ رأى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر اليهِ فقال. هذه والله المرأة التي رأيتها. ثم امرها ان تاخذ كف تراب فتدفعهُ اليهِ ففعلت. فبكى وقال : هذه والله التربة التي أريتُها.

اذ عثر الدهرُ بهِ عثرةً يا ويلنا من عثرة الدهرِ
وزلّت النعل بهِ زلّةً كانت لهُ قاصمة الظهرِ
فغودرَ البانسُ في ليلةٍ م السبت قتيلًا مطلع الفجرِ
وجيء بالشيخ واولادهِ يحيى معًا في الغلّ والاسرِ
والبرمكيين واتباعهم من كان في الآفاق والمصرِ
كانما كانوا على موعدٍ كموعد الناس الى الحشرِ
واصبحوا للناس احدوثة سبحان ذي السلطان والامرِ (١ (يقوم)
كم من مرّة — وقد أنبأني جبريل في غربتي بما حدث — كم من مرّة هاجت في ثورة الغضب فرأيتُ عدلًا أنْ أحمل الشرّ بحملهِ وأجزيَهُ بمثلهِ فأطلع سلطان الفرنجة على حقيقة الحال وأسأله ان يغضب لمن هريق دمهم البري جورًا ويأخذ بناصر المظلومين. لكن النخوة العربيّة وما تعلّمتهُ في منازل البرامكة من شرف النفس وحفظ المواثيق وقهر الاهواء في سبيل الوطن ردعني عن هذا القصد

يكاد القلب من جزعٍ يطيرُ اذا ما قيل قد قُتل الوزيرُ
امير المؤمنين قتلتَ شخصًا عليهِ رحاكمُ كانت تدورُ
فمهلًا يا بني العبّاس مهلًا لقد كُويتْ بقدركمُ الصدورُ (٢

ولم يبقَ لي الآن الّا النوح والبكاء على من تجرّعوا كأس المنون على حين لم استطع أن اضمد كلومهم الدامية واقبّل عيونهم الناثرة. فاستطلع الاخبار عن ابي واخي ثم اسير الى الرشيد فاعلمهُ بنجاح الرسالة واسلّمهُ التحف والهدايا وأسأله جزاء اتعابي ان يعجل بقتلي فالحق بمن أكرمهم وأحبهم

الآن استرحنا واستراحت ركابُنا واسلك من يُجدي ومن كان يجتدي
وقل للمطايا قد امنتِ من السرى وطيّ الفيافي قد فقدنا بعد فقدِ
وقل للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ ولن تظفري من بعده بمسوّدِ

١) المسعودي (٦ : ٤٠٠) القصيدة لعلي بن عباد

٢) هذه الابيات قالها احد الشعراء يوم قتل المتوكل وزيرهُ محمّد بن عبد الملك الزيات. اطلب الفخري (٢٠٣)

وقل للعطايا بعد فضلٍ تطلّني وقل للرزايا كل يوم تجدّدي
ودونك سيفاً يرمكيًّا مهنّداً أصيب بسيفٍ هاشميّ مهنّدِ (١
( يقول عبد الله هذه الابيات بحزن سائرًا بقتسابع الى الوراء ويغيب عن الابصار )

## المشهد الرابع

العلوي . الحسن ( يدخلان من مقدّمة المسرح يمينًا . والعلوي مستند على ذراع الحسن )

الحسن تقدّم يا ابتِ . لا ارى احدًا (يضع بساطاً وكرسيًّا من حديد يجلس عليه العلوي )

العلوي ولما رأيت السيف جندل جعفرًا ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدنيا وايقنت انّما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
لأبكيكم ابكي ألفضل ذي الندى ام الشيخ يحيى او لمحبوبنا موسى
ام الملك المصلوب من بعد عزّة أمِ ابكي بكاء المولات على الثكلى
لكلّكمُ ابكي بعينٍ غزيرة وقلبٍ قريحٍ لا يموت ولا يحيى
لئن زال غصن الملك عن آل برمكٍ فما زال حتى اثمر الغصنُ واستعلى
بني برمك كنتم نجوماً مضيئة بها يهتدي في ظلمة الليل من اسرى (٢

الحسن أبتِ لئن اصبحتَ للناس آية لقد بلغت الغاية ولئن زال ملكك وخانك دهرك فلقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الارامل والايتام عطوفاً وباهل الضيم والفاقة لطيفاً فعشت حميدًا مودودًا ومت مظلوماً مفقودًا

أصيبتُ بسادة كانوا عيوناً بهم نسقى اذا انقطع الغمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضريمُ نارٍ وللعبرات من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلامُ
فلم أرَ قبل قتلك يا ابن يحيى حساماً فلّهُ السيفُ الحسامُ

١) الشعر للرقاشي وقيل لابي نواس وقيل لاشجع (المسعودي ٦ : ٤٠٣) وابن الاثير (٦ : ٦٤) والطبري (٦٨٥) ابو الفداء (٢ : ١٨)

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي (١٢٢) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٢) والاربلي (١١٠) ابن خلكان (١٣٧) والتنوخي في كتاب الفرج بعد الشدّة (٢ : ٢١) والميلاوي (٣٥)

أألهو بعدكم واقرُّ عيناً علىَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وانتم رفات داسهُ القوم اللئامُ
وجعفرُ ثاوياً بالجسر أبات محاسنهُ السمائمُ والقتامُ
امَّا والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ (١

العلوي كفَّ عن البكاء بنيَّ

الحسن دعني أنُح على اهلي رذويَّ ( غناء ونوح ) (٢

العلوي لم يبق لي الان الَّا ان انظر الى عبدالله اخ نظرة وأضمَّهُ الى صدري فقد أنبئتُ بقرب عودته ثم اذهب الى الرشيد طالباً اليه ان يذبحني فيجمعني بابني جعفر وبالبرامكة خلاني واسيادي

الحسن وانا ارافقك فقد سئمتُ الحياة بعد فقد اهلي

## المشهد الخامس

العلوي . الحسن . عبدالله (وقد عاد عند سماع النوح)

عبدالله ابتِ انت هنا ؟

العلويّ من الرجل ؟

عبدالله عبد الله ابراهيم ابنك ( يتعانقان )

العلويّ دعني اموتُ الآن فقد رأيتُ وجهك

عبدالله واين جعفر ؟

العلوي هنا تحت هذا التراب المنثور

الحسن ونفسهُ في ظلال الجنَّة (سكوت)

عبدالله قتلهُ الرشيد !

---

١) ترجمة الجليس (٢ : ٢٢٤) والطبري (٦٨٧) ابن عبد ربه (٣ : ٢٢) وابن خلكان (١٢٦) والقصيدة لسليمان بن برمك وقيل للرقاشي وقيل لاشجع وعزاها ابن الرشيق في كتاب العمدة (ص ٢٣) لابي قابوس الشاعر النصراني يشفع بمن بقي من البرامكة عند الرشيد . وزاد قائلًا : فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامير العظيم من الشفاعة والرثاء

٢) خذ ما شئت من مراثي الخنساء وغيرها من الالحان المحزنة

الحسن مات عوضاً مني ليخلصني . واسفاه !

عبدالله فله درُّك يا اخي من كوكب باهر ونجم زاهر أفلَ قبل اوانهِ وغار في التراب وكانت القلوب افلاك بيانهِ . تموت ولم تتجاوز الثامنة من عمرك . فصن لمارد قصنتهُ الرياح وزهرة رائعة نثرتها يد الظالمين ( غناء محزن )

الحسن كفَّا من النوح فأنا انا جديرٌ بالبكاء والنحيب فقد داهمتني الاحزان من كل جانب ورمتني سهام المنيَّة فصدعت مني الفؤاد وكسرت الاعضاء وفتتت الاكباد . هنا اخوتي وامي واهلي اضحت عظامهم تحت اطباق الثرى رفاتاً . وهناك جثَّة ابي تتناشها العقبان وتحدق بها النسور . هنا ألقي برأس ابي في ترس وبدنهُ في نطع والرشيد ينظر اليهِ وهناك مات البرامكة كسرت عظامهم الاعمدة وحطمت جباههم الحجارة

أأبكي على اهلي من لا يزال ذكرهم يهيج احزاني ويُثير اشجاني . او اندب ابنك قرة عينك وعيني ومهجة فؤادك وفؤادي جعيفرًا الذي مات عوضاً عني ليتجيني من الموت

وان تكُ في قبر فانك في الحشى وان تكُ طفلاً فالاسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يُبكى على قدر سنهِ ولكن على قدر الفراسة والاصلِ

لقد خدعتني يا فلذة الاكباد خدعتني يا جعيفر أخيَّ الحبيب خدعتني بلطفك وكرم سجاياك فخلصتُ لكني كنت سبب موتك وشعلةً ارقدت الاحزان في قلب ذويك . مَن لي بالموت فأعوض عمَّا فرط . اتغفر لي يا جدّ وانت يا اخي عبدالله

العلوي بُنيَّ كف عن البكاء وليكن الرجاء عزاءك

عبدالله فسوف يُلبس الله عظام من فقدناهم مجدًا فيقومون يوم العرض مكللين بتيجان السعادة

العلوي مات جعيفر شهيد حبهِ وقياماً بحقوق المعروف فنجَّى فرعاً كريماً من البرامكة فانَّ شهامتهُ عزاني اذ كنتُ انا مجلبة حقد الرشيد على اهلك ووسيطة اتخذها الوشاة فأوقعوا بقوم كرام ذوي دين صادق وشيم عالية . فانت يا ابن البرمكي انت احرى بالثناء وانا احق بطلب العفو

الحسن غفر الله لنا جميعاً

عبد الله كأني لسمع صوتاً

العلوي لم نزَ قط في هذه الخرابات سوى جبريل يأتينا بما نقتات به ولولاهُ لمتنا جوعاً

الحسن هو جبريل

عبد الله ومن ذا الذي معهُ ؟

## المشهد السادس

العلوي - عبد الله - الحسن - المامون - جبريل

( في اثناء المشهد الخامس والسادس يمرّ الرشيد واصحابهُ في اقاصي المرسح شيئون تارةً وتارةً يظهرون )

المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟

عبدالله ابن الرشيد هنا !

العلوي ( لجبريل ) هكذا أطلعتَ القوم على سرّنا

جبريل لا خوف عليكم

المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟ أنسيت ما تعاهدنا عليهِ من الاخاء مدى العمر ؟

الحسن عرفتُ عبدالله المامون مَن كنتُ أحبُّهُ كأخ . لكني ابغض ابن الرشيد

المامون سألتك بالله ان تقيلني

الحسن اليك عني فانَّ في القارب حزازات وسخائم لا تبلى

المامون دعني اصافحك

الحسن لا تمتني يد ابن الرشيد

المامون ما ذنبي انا وقد متُّ كمدًا !

جبريل اصفحوا فالله يحب الرحمة

المامون كفى ابي وكفاني ما لقينا من العذاب

الحسن ابن قاتل ابي وامي واخوتي ! كلّا كلّا

المامون سألتكم بالله . . .

## المشهد السابع

يدخل بتتة مسرور وياسر

مسرور اجيبوا امير المؤمنين

جبريل مسرور هنا ! يا فتة ما العمل ؟

المامون قف يا عبد السوء

مسرور المامون مع اعداء الرشيد اعني يا ياسر

ياسر اعينك على موالي !

عبدالله ( لمسرور ) لا تمدّ الى احد يداً دنسة

مسرور يا ياسر

عبدالله ( يستلّ سيفهُ ويتبع مسروراً خارج المسرح ) خذها ضربة قاتلة ( ثم يعود )

ياسر والآن هاءنذا ايضاً يا ياسر العبد الخائن فاقتلني يا عبدالله

( يهجم عبدالله على ياسر )

جبريل قف سألتك بالله ( ضجّة )

## المشهد الثامن

يدخل الرشيد واصحابهُ

الرشيد اغمد سيفك يا عبدالله

العاري الرشيد هنا ؟

الحسن قُضي الامر

المامون يا ابتاه

الرشيد وانت بُنيَّ هنا !. لا باس. قد سمعتُ كلّما قلتموهُ ووعيتهُ

المامون سألتك بالله ألّا تقتلهم

العاري دع عنك ذلك يا ابن الرشيد. وانت يا هرون هاك طلبتك قد بلغتَ المنى .
جرّد ذا الفقار سيف جدّي واغمدهُ في صدر ابن علي ها صدري فاطعني

الحسن ان يدي بيد يحيى بن عبدالله . هـاك يا هرون ابن جعفر البرمكي وابن

العباسة . قتلتَ اباهُ وامَّهُ واخوتهُ وذويهِ جميعاً فلا يحسن بهِ ان يعيش بعدهم . جرّد سيفك وأمِت اطهاراً وألحقهم بمن اهرقت دمهم ظلماً وجوراً

عبدالله وانا ايها الرشيد كنتُ سائراً اليك فاتيتَ اليَّ . قد قمتُ باعباء الرسالة وعدت اليك بما يوطد اركان ملكك فتركتُ تحف سلطان الفرنجة ورسائلهُ مع الاحمال على باب المدينة واني قد انجزت ما امرتني بهِ ورتقت الفتوق التي لا يزال يحدثها الفضل بن الربيع هذا الخائن في دولتك واذا اطلعت على الرسائل حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فعرفت من الامين ومن المكّار

الفضل لا تصدّق هذا المقال

الرشيد (للفضل) صهْ لا امَّ لك

عبدالله فاتيتُ سراً انوح على اسيادي والثم آثار اقدامهم واقبّل ثرى اجداثهم والان اسألك جزاء اتعابي ما اعددتهُ لكفاءتك واصطفائك فليس حظي باحسن من حظّهم . انتضِ حساماً ضرّجتهُ بدماء آل علي بن ابي طالب وآل برمك هاك دماً زكيًّا فاسفكهُ . انت اهل لذلك

ياسر اقتاني . انا سبب كل ما جرى . جنيتُ على البرامكة كذباً باغراء الفضل هذا اللعين . امتني فاني ظالم ولينجُ البري

المأمون سألتك بالله ان تصفحَ ابتِ والّا فاقتلني معهم فاني والوفا من رعاياك نواصل البكاء ليلاً ونهاراً على فقد البرامكة

الرشيد كفى . كفى . قد طال اضماري الاسف واظهاري القسارة باغراء من اغراني فعلى البرامكة ابكي وانوح (يبكي) (١)

ايا سبتُ يا شرَّ السبوت صبيحةً ويا صفرُ المشؤومُ ما جئتَ أشأما
أتى السبت بالامر الذي هدَّ ركننا وفي صفر جاء البلاء مصمما (٢)

فقد والله لم التقِ رخاء بعدهم . أضنكتني الامراض . واحاطت بي الاعداء

١) الاغاني (١٧ : ٧٤)
٢) الطبري (٦٨٥) والمبلاوي (٩٥)

وجانبني الاصدقاء . وانذرتني الخوارق والآيات . اذا اضجعتُ على فراشي كأني على وقودٍ ملتهبة ينخزني الضمير بمهازه . واذا سرت تراءت لي اشباح مُدلة عليَّ . لم ينجني منها مواصلةُ الصلاة واستماح الغفران والحج ماشياً (١ . لوددتُ لو شوطرت عمري ولم آتِ بما اتيت (سكوت)

فعليكم يا آل برمك ابكي ولذكراكم احفظ وعلى اياديكم البيضاء أثني وعمَّا جنيت من الاثم الفظيع اعضّ البنان ندماً واسفاً . فلو كان يفديكم سفك دمي وبذل روحي لما بخلت بها عليكم يا من كنتم غرّة عصري وتاجاً على مفرق دهري (٢ ومعتصماً الجأ اليه في علني وسري واسوةً اقتفي معالمهم في سيري واخوان صفا الرد بهم في عسري ويسري . فليس لي الان الّا ان اعان باسفي وندمي على مسمع من الكبير والصغير (٣ أتعفو عني يا فرعاً كريماً نجاه الله من ظلمي فاصبح الوريث الوحيد لمآثرهم . انا هرون الرشيد اسألك بحق حبك لابيك وحزنك عليه ان تصفح عن ذنبي . ألا تجيب شيئاً ؟

المامون فليكن لنا عقوك عزاء ورجاء يوم الدين

الحسن قاتل ابي واهلي !

جبريل اذكر شيمَ ابيك وما رضعتهُ في حجره من المبادئ الدينيَّة والتقى واصفح نُبيَّ

الرشيد اقلني باسم ابيك واهلك والّا متُّ كمدًا

الحسن غفر الله لك اثمك

الرشيد شكرًا لك ربّي

المامون عاهدني على الاخاء كما سبق

الرشيد عش في قصري مع المأمون وكن لهُ اخًا

الحسن لا افترق عمَّن هما لي اب بعد ابي واخ بعد اخي

---

١) الفخري (٣٦٤)

٢) الفخري (٣٦٦)

٣) لم تتفق اقوال المؤرخين في هذا الامر فذهب قومٌ انهُ اسف واضمر الاسف وقومٌ انهُ اعلنهُ سرارًا

الرشيد لستُ اهلًا ان يزين ابن جعفر مقلتي — (للفضل) هات يا خائن خاتم الوزارة واذهب الى لعنة الله وحرّ سقر. اولى لك. فلا تجاورني ولن رأيتك قتلتك. ولولا ان سفك دمك هو عار عليّ يوم فزتُ بالعفو من البرمكي لهدرتهُ

الفضل وجزاء سيئة سيئة مثلها (يخرج)

الملوي بئس مَن باع دينهُ بدنياه فلم تربح تجارتُهُ

الرشيد (لياسر) انت اردتَ الدفاع الان عن هؤلاء. كن حرًّا لوجه الله

ياسر سأسير الى بلادي واعيش في النسك والعبادة تعويضًا عمَّا فرط مني

الرشيد (لياسر) حسن. (لعبدالله) كن يا عبد الله وزيري وقم باعباء الدولة كما قام بها يحيى وجعفر

عبد الله ان نفسي لا تطاوعني على هذا

الرشيد عيشوا يا كرام في قصري فقد ملكتكم كل ما كان عليه البرامكة وولّيتكم على الوزارة والحجابة والامارة

الملوي سألت امير المؤمنين ان يعفينا ويمكّننا من الذهاب الى البلاد البعيدة نعيش فيها في الخلوة والعبادة ونموت كراماً

عبد الله وان اجاز لنا اتينا كل عام الى هذه الخرائب نحج الى كعبة الشرف والدين والوفاء فنذكر البرامكة ونندب الدنيا على فقدهم

الحسن سلام على الدنيا اذا ما فقدتمُ بني برمك من راحتين وغادِ

الرشيد يا آل برمك انكم تحت الثرى اعلى واشرف من ملوك عاليهْ
فانا مليك الارض احسدكم واحسد قبركم يا ليت ضمّ عظاميهْ
الله اكبرُ ايها العظماء والحكام م فاعتبروا بهذه الداهيهْ
فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل لا تبغوا فعقبى البغي نار حاميهْ
وبصالح الاعمال لا بالظلم تدّ م خرون في الدارين نعمى ساميهْ (١

(تنتهي)

١) او فليقل الرشيد هذه الابيات :

يا آل برمكَ ما اسمى مناقبكم فالحدُ كمْ كعبةٌ حجّت لها الامَمُ
يا جعفرَ الجود يا فضل المحاسن يا يحيى الزمانِ دهاكم كيد من ظلموا
هدمتُ مزّي بكفي اذ سمعتُ الى قولِ الوشاةِ قاصمى قلبي الندم

# العواطف الشريفة

رواية للخوري اسطفان البشعلاني (ملخَّصة من الافرنسيَّة)

## ١

دامت الحرب بين امراء المانية المصلحين وبين امبراطورها وامرائها الكاثوليك من سنة ١٦١٨ الى ١٦٤٨ فعُرفت بحرب الثلاثين سنة وهي تنقسم الى اربعة ادوار: ١ً دور الاشراف وهو قتال فردريك الخامس منتخب باقارية والامبراطور فردينان الثاني. ٢ً الدور الدنمركي المشهور بتدخل كرستيان السادس ملك الدنمرك في شؤون المانيا. ٣ً الدور الاسوجي وقد عُرف بانتصارات غوستاف ادولف ملك اسوج الذي قُتل في أتزن. ٤ً الدور الافرنسي وفيه نرى ريشليو يساعد المصلحين قصد الحَطّ من شان النمسة الى ان حملت انتصارات فرنسة اخيراً الامبراطور فردينان الثالث على توقيع معاهدة وستفالية

فالى هذا الدور الاخير ندعو القارئ الكريم ليتبعنا الى جهة سبسارت من بلاد المانيا في اواخر سنة ١٦٤٤ في ليلة ارخى الظلام فيها سدولهُ واختفت نجومها وقرس بردها فاستحجر التراب وجمدت الاشجار والمياه في الانهار. وكان الجليد يتكسَّر فيُسمع لهُ انين كأنهُ شكوى الحزين وانضمَّ الى هذا الانين صوت العاصفة التي كانت تهبُّ من بعيد على الجبال

وكان فارسان غساويَّان ممتطيان جوادين كريمين يسيران في أجمة كثيفة وهما يبحثان عن الطريق المثلى وقد التجنا بدثارين طويلين يجللان الجوادين. وكان احدهما فتى يدلُّ وجههُ على الحدَّة لابساً بزَّة ملازم وكل ظواهره تنبئ بانهُ فارس مجرَّب. اما الآخر فكان كهلاً قد ارتسمت في وجههِ ملامح الغم الشديد واللطف وارخى ضفائر شعرهِ حول جبهتهِ المجعَّدة واطرق رأسهُ كأنهُ يحتمل واضياً متاعب سيرهِ في ذلك الليل

---

جودوا بصفح على من خان عهدكمُ فالصفحُ شيمتُكمُ من قبلُ والكرمُ
فلو درى الناسُ عُقبى البغي لاجتنبوا كيدَ الطُّغاةِ فلا يَطغون ان حكموا
تَفقهوا يا أُلى الاحكامِ واعتبروا ولا تجوروا فانَّ اللهَ ينتقمُ

البهيم ويشجع جواده الذي كان يتعثر بجذور الاشجار المكسورة. لا يشكو برداً ولا ظلاماً ولا تيهاً

وللحال صاح الملازم الفتى : متى ينجلي هذا الليل الطويل. فقد اجتمعت فيه الظلمة والبرد والخوف من الذئاب ومن عدو طارق

قال الآخر : اهذا هو البأس الذي امتاز به ابناء جرمانية الاشدّاء وما الشكوى يا فيليب الّا لتزيد المحن شدةً فاصبر على الشدّة وضع نفسك فوق المصاعب

فقال الملازم : أرَ تظنُّني يا مولاي الامير الاي أبلغُ ما بلغتهُ انت من العزيمة والصبر على الشدّة فانت اصلب عوداً من شجر هذا الغاب ولقد عجبتُ من ثباتك في مواقف الحروب العديدة التي شهدتها. كنت صبوراً في القتال ثبتاً في الهزيمة رصيناً في الفوز كبيراً عند تقلبات الأيام يحترمك الجيش ويحبك الامبراطور ويهابك العدو. على أنني المن هذه الحرب التي جرّت على البلاد والعباد انواع البلاء والفقر

قال الامير الاي : لا تمادَ يا فيليب في السير مع تيّار الهواجس والفكر فنحن ندافع عن واجب مقدّس فاذا وخطك الشيب ذهبتْ منك هذه الحدّة او يليق بنا ان نترك الدفاع عن دين تلقّنا شواعرهُ عن والدين فارقونا ولم يفارقنا ذكرهم ؟

فأثّر هذا الكلام في قلب الشاب وذكر بعد نسيانه ايام الصبا فقال : نعم لقد علّمتني والدتي الصالحة محبّة الله وتكريم الدين. ان نفسها وقت الصلاة كانت ترتفع مع نفوس اولادها الى الله عزَّ وجلَّ يجتمعي الروع. آه لقد ماتت والدتي واختي وقُتل والدي في بعض الحروب !

ثم صمت فيليب وتزاحمت الافكار في مخيلته. اما الامير الاي الذي كان من قبل رابط الجأش فاخذت تتقسّمهُ الهواجس وتتبدد من اعماق الفؤاد فسمعهُ الشاب فصاح : عفواً يا مولاي الاميرال بل يا ابي الحنون لقد احزنتُك على غير قصد وحرّكت ساكن اشجانك

فاجاب بصوت منكسر : « نعم لقد اثار حديثك فيَّ مرارة نفس كتمتُها وذكّرني بشدائدي واحدةً فواحدة لقد صبرتُ وتأسيت بغيري ممّن أصيب باعزّائه الّا ان ذلك لا يشفي جراح أبٍ وزوج تعيس . لم اكن وحيداً يا فيليب من قبل فقد كنت مقيماً في دوقية باد أنعم بمسرّات العائلة والحبّ الطاهر فهناك امرأة شريفة عرّفتني ما في الحيرة

من الغبطة وعرفني فقدها ما يفعل الحزن في القلب

« ولقد رزقني الله ولدين قرت بهما عيني اذ جمع فيهما كمالات والدتهما ولكن ما عتم ان أشهر الحرب ورأيت الوطن يدعو ابناءه وشعرت زوجتي اليونورا بحرج الموقف فأخفت عواطفها وكانت تسبق الى تشجيعي بقولها : ان الله والوطن يدعوانك فلا تتوقف عن تلبية الدعوة . وقد تمكنت بعد سنتين من الرجوع الى اهلي لاعانتهم استعدادًا لفراق مر . لله ما اجمل ما كانت صورتها عندما ودعتها آخر مرة انني اراها دائمًا في احلامي تبتسم وذكرها الجميل اثمن كنز اصونه . وقد خطف الموت مني ولدي غستون فعظم المصاب عليَّ ولكني صبرت وانصرفت بكليتي الى ابنتي الوحيدة . . .

« انني شريف الاصل غير ان والديَّ لم يبقيا لي سوى شعار اسرتهما . وصلت الى الجندية من صباي واقترنت في الخامسة والعشرين من عمري بامرأة مثلي لا مال لها غير انها كانت قنوعة مقتصدة تعتبر سعادة العائلة احسن سعادة . وكانت مجرية الاصل فلما مرضت خيل لي ان رجوعها الى وطنها يعيد اليها العافية بعد ما عجز عنها نطس الاطباء . فعرضت ذلك عليها فتوردت وجنتاها وقالت : اني لم اترك بلادي الا لاعيش معك يا كرستيان . . . أرغب العود الى بلادي ولكني ضعيفة الآن فنؤجل ذلك الى وقت آخر . . . وقد كانت المسكينة تبسم للحياة والموت يعانقها

« وما لبثت ان نادتني الحرب ولم يسعني الوقوف دقيقة لئلا أحسب جبانًا ولان حمل السلاح مهنتي التي تعيش منها عائلتي . اواه يا فيليب عندما ودعتني اليونورا وضمت ولدي غستون الى صدري كنت اتمنى الموت في تلك الساعة . ولم يمض على سفري شهران حتى قضت زوجتي وقضى بعدها غستون باسابيع قليلة ومن هذا تعرف كم قاسيت وليلًا عاجاني الشيب . انني سرت حيثما قادتني التعرف الذي منعني عن تلبية نداء الحنو . اما ابنتي ماتيلدا فابن مانت ؟ ذلك ما يجهله هذا الاب التعيس . وقد كنت لما علمت بموت زوجتي قبل موقعة لُتزن دعوت الموت في ساحة يلقى فيها كثير من الابطال الشبان موتًا مجيدًا فلم تصبني رصاصة ولم يمنني حسام . قضي عليَّ بان اعيش . . . فاعيش لكي اتعذب

« وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى أنبئت بفاجعة مؤلمة وتلك انني كنت وكلت امر ابنتي ولها من العمر تسع سنوات الى امرأة فاضلة كانت صديقة لوالدتها

فقبلت الوكالة وطرقت ابنتي بعقود الحنان غير انهُ بعد زمن قليل نزل بالقرية التي كان فيها منزلنا فرقة من الجنود القساة وذهب كل شيء طعاماً للسيف والنار وهلك خلق كثير ونجا الباقون هرباً . وخُطفت ماتيلدا ولم نتمكَّن من الوقوف لها على اثر مع ما بذلنا من التفتيش . ولزيادة البلوى أُصبتُ بعد ذلك بجرح تركني في ساحة القتال بين حي وميت وبعد مدَّة عدتُ الى الحياة بالعناية واستأنفتُ البحث عن ابنتي فذهب تعبي ادراج الرياح وكان يعذبني خوفي من ان تكون ماتيلدا ذهبت ضحيَّة التعصُّب بصفة كونها ابنة جندي كاثوليكي . وماذا يحلّ بي اذا كانت ابنتي أُبعدت الى مكان تعيش فيه عيشة الرذيلة ! فكان هذا الفكر يمزّق احشائي تمزيقاً وافضّل ان تكون ماتت الف مرَّة ولا يلحقها هذا العار »

وهنا انحنى الامير الاي على عنق جواده وتمادى في البكاء والنوح

فاخذ فيليب يشجعهُ ويعزيهِ على الصبر فقال الامير الاي : « لقد اصبتَ فما تنفع الشكوى فالامثل بي ان اخفي حزني واجعل صدري مركزاً حصيناً انقش عليهِ اسماء احبَّائي الثلاثة . ولا غروَ انك كنت اوَّل من عرف سرّ بلواي وحزني بعد ان كتمتهُ ثماني عشر سنة »

قال هذا ومدَّ يدهُ الى فيليب فاخذها الملتزم وقبَّلها ونثر عليها لؤلؤة من الدمع

ثم استطرد الامير الاي الكلام قال : « آني غنيّ الآن ويا ليتني كنتُ فقيراً مثل يوم كنت امالك فيهِ مع أُسرتي ذلك الكنز الذي اوتيتهُ من السماء . وكم من رجل يسحب مثلي ذيول الغنى والجاه كالاسير الذي يرسف بقيودهِ الثقيلة . وكلَّما كنت احاول تخفيف ويلات التعساء بتجديد ابتسامة على شفةٍ تراءت لي صورة ابنتي وهي صفراء متوجعة فلماذا ارى تلك الروح التي شاء الله ان ينقلها اليهِ والى اليونورا مرفرفة حولي »

ثم سكت وسكتت الريح ايضاً واخذت تظهر الطريق لعيني المسافرَين بنور الفجر ونزلا الى الوادي واذ لم يعرفا الطريق قصدا محلّ اجتماع الناس ثم طرق اذنيهما صوت جرس يُقرع « التبشير » في الكنيسة القريبة فاراد الامير الاي ان يدخل بيت الله استرجاعاً لقواهُ التي فقدها في تلك الساعة بتلك الذكرى المؤلمة فسأم جوادهُ الى الشاب ودخل حتى اذا صار عند المذبح سجد واستغرق في التأمل

٢

ربط فيليب الجوادين بجديد المقبرة وتبع الامير الاي فسجد مفكرًا بوالدته ونظر نظرة الشفقة والاحترام الى ذلك الرجل الذي فتح لهُ قلبهُ . ولمَّا هم الامير الاي بالخروج اذا بفتاة تحمل طفلًا وراء كاهن وقور فنظر هذا الى الامير الاي واسرَّ الى الفتاة كلماتٍ فأصغت اليهِ الفتاة ثم دنت من الامير الاي وقالت بأدب: قد كان حضرة الاب رضي ان يكون عرَّابًا لهذا الطفل الفقير الَّا انَّهُ اذ رآك هنا رغب الى جنابك ان تتنازل وتقوم مقامهُ

قال: لا ادري ايتها الفتاة ما الذي حمل حضرة كاهنكِ على هذا الطلب

قالت: لان الطفل ابن جندي وبزَّتك تدلُّ على مقام رفيع في الجنديَّة فانت اذًا أليق لحظّ الولد من كاهننا الوقور

فتأثَّر الامير الاي لهذا الايضاح ورضي بان يكون عرابًا للطفل . ثم سألتهُ الفتاة: وماذا تريد ان تسميه ؟

قال: لم افتكر بهذا لكن فلنسمِّهِ فيليب . . . ونظر الى رفيقهِ

قالت: امَّا والدته فقالت لي: اطلبي يا لويزا الى المحسن الذي يكون عرابًا لابني ان يسميهُ كرستيان

فقال متعجبًا: «كرستيان ؟ ما هذا الاتفاق انا ايضًا أُدعى بهذا الاسم» . وتعلَّق قلب الامير الاي منذ ذاك بمن صار لهُ ابنًا روحيًّا فكشف القناع عن وجههِ فرأى وجهًا غاية في الجمال ثم دنا من الكاهن فحيَّاهُ باحترام وسألهُ بعض معلومات عن والدَي الولد

فقال: انَّ اباهُ يدعى ريشار وهو دافرني سمعتُ انَّهُ جندي باسل نبيه وقد كان خليقًا بالمناصب الرفيعة لولا فقره وكونهُ اجنبيًّا وكثيرًا ما رأيت ام الولد مفكرة متألمة ولمَّا احتاجت الى مساعدتي الروحيَّة رأيت منها نفسًا سامية غاية في العفاف وهي صابرة على ما نالها من البلاء فعسى ان تكون ولادة هذا الطفل طالع سعدٍ لهذه الشهيدة المسكينة

فشكر الامير الكاهن وتقدَّم الى جرن العماد واعطى الولد اسمهُ وقبل ان يستأنف سفرهُ وضع قبلةً ابويَّة على جبهة كرستيان الصغير ثم اخرج من جيبهِ كيسًا من القطيفة الحمراء مطرَّزًا بالذهب وسلَّمهُ الى لويزا قائلًا: هوذا نفقات العماد

وسألهُ الكاهن عمَّا اذا كان يرّ به ثانيةً فاجاب: بعد ثلاثة اسابيع في مثل هذه الساعة اكون هنا ان شاء الله فان كان لولدي كرستيان حاجة امكنك ان تقولها لي ايها الاب بعد رجوعي

قال: ليباركك الله ويَصُنْ هذه النفس الكريمة فترى من عائلتك كل سعادة انت اهل لها

فصافح الامير الاي الكاهن وشدَّ يدَهُ قائلًا: « لا يمكن ان يُجاب دعاؤك يا ابتِ لان عائلتي في السماء ولا حظَّ لي... » وغطَّى وجههُ بمنديله وانصرف مع فيليب والكاهنُ ولويزا يشيعانهما حتى اذا غابا عن العيان دنا الكاهن من المذبح يصلّي لاجل ذلك الشريف واقَّت لويزا الولد باعتناء وسارت تريد منزل الجندي المسكين ولا شيْ يكدّرها سوى عبارة الامير الاي الاخيرة. فقد دعي الولد كرستيان بحسب رغبة والدتهِ وكان عرَّابهُ غنيًّا قويًّا والكيس المطرَّز يحتوي كميَّة من الذهب كل ذلك ممَّا يخفّف بلوى ريشار وزوجتهِ اللذين احبَّتهما محبَّة شديدة

فدخلت الفتاة ووجهها يطفح بشرًا الى حيث كانت امرأةٌ في السادسة والعشرين من عمرها قد اتَّسمت في وجهها علائم القلق والحزن وعلاها الاصفرار ما لم يُبقِ على شيْ من جمال ذلك الوجه. وكانت راقدة على فراش من القش فيلوح من كل احوالها ما يحمل على الشفقة ويذيبْ بما بانت اليهِ من الشقاء. اما الغرفة فكانت حقيرة تحتاج الى الضروري والناظر اليها يدرك كيف ان العناية قد تخفي الشقاء تحتَ ستار النظافة والترتيب. ثم صاحت الفتاة: ها قد رجعتُ اليك يا سيدتي ببشائر سارَّة فلا تحزني. ان كنتِ فقدت بنانك الثلاث اطفالًا فابنك هذا يتمتع بصحة عجيبة وسوف يعيش ان شاء الله

قالت المرأة بصوت ضعيف لكنَّهُ حلو: اشكر لك يا ابنتي هذه الكلمات المعزّية

قالت: وان ابنك سُمّي كرستيان

فضمَّت المرأة يديها وهتفت: كرستيان! يا لهُ من اسم كريم محبوب

قالت: وان عرابهُ احد الجنود العظام على كتفيهِ رمانتان من ذهب وصدرهُ مرصَّع بالاوسمة وهو ابيض الشعر ملاحهُ كملاحكِ

قالت المرأة: لا ريب في انهُ متقدّم في الجنديّة ولو كان ابي حيًّا لكان مثلهُ يسمات الابطال لانهُ كان بطلًا والآن فان نفسي تحدّثني بشيءٍ عنهُ

قالت لويزا: وهذا العرّاب الكريم اذ علم بانكم لستم اغنياء اعطاني نفقات العماد فتوردت وجنات المرأة خجلًا وقالت: ولماذا قبلتِ يا ابنتي إحساناً

قالت: اه! ياسيدتي لو سمعكِ الرجل لحزن جدًّا او تظنين ذلك احساناً فلقد دنا مني وضمَّ كرستيان الى صدرهِ واعطاني النكيس قائلًا: « هذا الفلوني ». وطرحتُ النكيس بين يدي المريضة ولمَّا رأت ما فيهِ من الذهب هتفت: « اني اسأت فيما قلتهُ لان صاحب هذه العطيَّة ابن نعمة وانا فقيرة يا لويزا ومنذ اسابيع لم يقبض ريشار معاشهُ وماذا كان اصابنا لولا هذه العطيَّة ». ثم ضمَّت ولدها الذي ابتدأت السعادة معهُ وقبل ان تلفّ النكيس رتصونهُ ارادت التمتع برؤية تطريزهِ واذا بها صاحت صيحة التعجُّب « اني! ابي! » وسقطت لا تعي على وسادتها فاسرعت الفتاة الى معالجتها حتى افاقت من غشيتها ونظرت الى النكيس باكية وقالت متمتمةً للويزا التي لم تفهم شيئًا مما جرى: «انظري يا ابنتي الى هذا التطريز فانهُ شعار أسرة والدي وهو يمثل سلاحهُ وكنت اظنهُ من سنين عديدة قد مات. فالزيادة عذابي علمتُ الآن بانهُ حي. فاين هو واين سار لاتبعهُ؟ آه! آه! اني لن اراهُ الى الابد ». فتبسَّمت لويزا تبسُّماً ملائكيًا وقالت: « بعد ثلاثة اسابيع تشاهدين والدك كما وعد الكاهن. اه! لقد اصبتُ اذ قلت بان ملامحه كملامحك »

وكانت ماتيلدا تتقلَّب بين الخوف والوجاء وهي لا تصدّق بانها ترى والدها ثم تمالكت واخذت تسأل الفتاة اسئلة كثيرة بيَّنت لها دون شك ان العرّاب هو ابوها. وكانت تنتظر رجوع زوجها ريشار حتى اذا كان المساء بشرتها لويزا بقدومهِ ثم دخل وكان في الثلاثين من عمرهِ تلوح عليهِ سيماء اللطف يرتدي بثوب اوناشي قدنا من الفراش وهتف بصوت يذوب رقَّةً: لقد اسرعتُ يا عزيزتي لاراكِ واعانق مولودنا الصغير وابشرك بان سفيرًا من قبل الامبراطور اتى بنفسهِ لينقذنا المعاش المتأخر فهذه النقود لك يا ماتيلدا وقد وددتُ لو رأيتِ هذا الرجل الفاضل يشجعنا ولقد شاقني منظرهُ فكان يشبهك يحق الشبه

فصاحت المرأة وقد القت نفسها على ذراعي زوجها : ان هذا الذي أعجبتَ به يا ريشار هو ابي . .

— فما تقولين ؟

قالت : « وهو عرّاب ولدنا كرستيان الصغير وهوذا كيس منهُ عليهِ شعارهُ غير ان هناءنا لم يتمّ اذ لم أرهُ وهو يجهل كوني موجودة » . ثم قصّت عليهِ كل ما حدث فكان يضمّ تارةً زوجته وتارة ولدهُ ويقول : لقد قاسى كثيرًا لاجلك ولكن الحمد لله لقد زالت أيام النحس !

ثم رأت ماتيلدا زوجها قد تغيّر وجههُ واراد الابتعاد عنها اخفاء لعواطفهِ فلحظت اضطرابهُ فسألت عن سبب تألمهِ فلم يستطع الّا ان يصرّح لها بقولهِ : انك تلاقين والدك بعد فراق مرّ غير انّهُ اذا رآك فقيرة مجهولة مريضة وهو غني مشهور قوي انكرك ولعن الحظّ الذي جعل صلةً بينك وبيني . بل انكِ انتِ اذا رأيت نفسك محفوفة بمجالي العظمة واسباب النعمة هل تعودين تعترفين برفيقك الجندي المُعدم الذي لا يكاد يقوم بمعاشك حتى بثمن دمهِ ؟

فاصفرّ وجه ماتيلدا لكلام زوجها وكانت تعلم رقّة شعاره فادركت حالًا ما يجول في صدرهِ فاخذت يديهِ وقالت علنًا : ان ابي ذو نفس سامية فهو يباركك ويدعوك ابنًا لهُ . ولو فرضنا ان شعارهُ تغيّرت وانكرت علاقتي معك افيسعني ان انساك . اتعتقد ان الثروة تفرق بينك وبين زوجتك فلا تجعل هذا الريب يجرح قلبي . ولو كان اجتماعي بوالدي الذي اشتاقهُ يحول بيني وبينك فاقسم لك بانني انكر حقوقي البنوّية محافظةً على الحقوق الزوجيّة والأمّية

فاخذ ريشار يدي امرأته وضمّهما الى صدرهِ ودموع الفرح والشكر تترقرق في عينيهِ وقال : ماتيلدا انك كنت دائمًا في عينيّ اكمل مخلوقات الله واليوم صرتُ احسبكِ حقيقةً كملاك بصورة انسان

٣

مضت ثلاثة اسابيع والكاهن ينتظر رجوع الامير الاي وبعد انتظار ساعة في الكنيسة اذا بهِ قد اقبل فانحنى امامهُ الكاهن وطلب اليهِ ان يشرّف منزلهُ فلبّى الامير الاي الى اشارتهِ ومضى معه وبعد ان استقرّ بهما المقام قال الكاهن : « تعذرني يا مولاي

اذا التيتُ عليك بعض اسئلة ربما خفيتْ اهميتها عليك» . فاحنى الامير الاي راسه علامة القبول واستطرد الكاهنُ قائلًا : اريد اعرف هل الشعار المرسوم على الكيس الذي اهديتهُ لفليونك هو شعارك

— لا شك بذلك

— او هل لك عائلة ؟

— كان لي رفيقة مُحبَّة واولاد ظرفاء وكلهم خُطفوا مني

— بالموت ؟

قال الامير آلاي : حبَّذا لو خطف الموت الجميع فقد كان لي ابنة بقيت حيَّة بعد امها واخيها خطفتها يد قاسية وعذَّبوا البنت بما ارادوا ان يعذّبوا الاب

فسألهُ الكاهن : واذا كان الذين خطفوا ابنتك ابقوا على حياتها ؟

فُبهت الامير الاي وتغرَّس بالكاهن وقال : اني افضّل يا ابتِ بان تكون ابنتي ذهبت شهيدة على ان تحيا حياة العار . ولو فرضنا انهم ابقوا على حياتها وآدابها الاولى التي وضعتها مع الحليب ولم ينزعوا من قلبها الطهارة التي هي فخر المرأة لبقيتُ في ريب مخيف من جهتها . تبارك الله في احكامه ويا ليت عظام ماتيلدا ترتاح في زاوية من الارض ابلُّها بالدموع وارشُّها بالزهور !

فتمزَّق قلب الكاهن لهذا المشهد المؤثر وجال الدمع في عينيه وقال : اني لاعجب من عواطفك الشريفة ايها الامير فقليل هم الذين يخضعون مثلك لاحكام العناية الالهيَّة واقلّ منهم من يضحون من راحتهم في سبيل الشرف والفضيلة والآن فاسمح لي بان اسألك : اذا رُدَّت اليك ابنتك وهي مزينة بالفضائل التي تلقَّنتها اولًا فهل يزول شكُّك ؟

فلم يفهم الامير الاي هذه الالغاز وكان ينظر الى الكاهن كمن أُصيب في عقلهِ لكنَّهُ تغلَّب على هواجسهِ وعزا هذه الملاحظة لسبب بعيد عن خاطرهِ فقال : اني احترم يا ابتِ الداعيَ الحامل لك على هذه الاسئلة التي تؤلمني وان كنتُ لا افهمها واجيبك بانني اذا رأيت ابنتي المحبوبة على الحالة التي وصفتَها فلا ريب يشعر قلبي بفرح لا يوصف ولكن من يؤكد بانها خرجت ظافرة من محيطٍ كالهُ اثمٌ ؟

قال : يؤكد لك ذلك سيرتها الصالحة وحياتها المقدَّسة وقد حان لي ان اكشف

القناع وابشرك بان ابنتك حيّة وقد استحقّت اكليل الاستشهاد الذي ذكرتهُ لي وهي على الارض فبلاؤها وجهادها وثباتها في الصلاح وقناعتها وتواضعها كل ذلك يجعلها مثال الفضيلة والشرف . ان ذكرك لم يفارقها دقيقة مدّة ثماني عشر سنة وقد قاست مع زوجها مشقّات الحياة وحبّهما ثابت الّا ان الله عزى قلبها الكسير بعد ان فقدت ثلاث بنات بمولود جديد عمّدتهُ منذ ثلاثة اسابيع وصرتَ انت عرّابهُ فسمّيتهُ انت كرستيان

وكان الامير الاي الذي لم يحن جبيناً في الحروب جاثيًا امام الكاهن وشفتاهُ ترتجفان ووجهه ممتقع وذراعاه مبسوطتان . فهتف وهو لا يكاد يعي « اين هي ؟ اين ابنتي ؟ يجب ان اراها او امرت » . فتقدّم الكاهن وفتح بابًا مزدوجًا في الحائط فظهر من ورائهِ امرأة جاثية على ذراعيها طفل وخلفها جنديّ شابّ مطرقٌ عليهِ سمات الاضطراب فصاح الامير الاي : « ماتيلدا يا ماتيلدا أأنت هي يا ابنتي ؟ » وترامى الاب والابنة على بعضهما وبعد معانقة طويلة وقبلات ودموع نهضت ماتيلدا واسكت زوجها بعزّة ونبالة قائلةً : هوذا يا ابي زوجي المحبوب ريشار الذي كان يخلّصني وملاكي وحارسي وهو جدير بمحبّتك ورضاك

فتح الامير الاي ذراعيهِ وقال : هلمّ يا ابني ريشار فقد صار لي منذ الآن ثلاثة بنين . . . فشكرًا لك يا رب على كل هذه النعم !

وكانت ماتيلدا بحاجة الى الراحة فالحّ الكاهن على الامير الاي وعلى ابنتهِ وزوجها بان يقيموا في بيتهِ ريثما تصح ماتيلدا من ضعفها فشكروا فضلهُ وسكنوا في جوارهِ

وبعد ان ملكت ماتيلدا تمام العافية بعد أيام اخذت تقصّ على والدها حديثها اذ كان ريشار في مهنتهِ العسكريّة والكاهن في وظيفتهِ الرعائيّة ولويزا منشغلة بكرستيان الصغير قالت : « انني خطفت قسرًا من بيت حارستي يوم نهب الدغركيّون القرية التي كنّا فيها وحملني جندي منهم يدعى أسوالد على جواد لهُ الى كوخ امرأة فقيرة اعتنت بي فبكيتُ ودعوتك وما من مجيب ونفرتُ اوّلًا من الجندي رغمًا عن عنايتهِ بي ثم عدتُ فسألتهُ ان يرجعني الى مكاني فاجابني بان لا سبيل الى ذلك قائلًا : « لان ابالك مات في الحرب وحارستك قضت خوفًا وهلعًا وقد كنت اريد ارجاعك الى ابيك وان كان عدوًّا لنا ولم يكن خطفُك الّا انتقامًا منهُ » . ولمّا وضعت الحرب اوزارها حملني على جواد لهُ الى بلادهِ وكنت اذ ذاك في العاشرة من عمري ولمّا وصل وجد امرأتهُ قد ماتت فحزن

جداً ولكنهُ تعزّى بي وتبنّاني اذ لم يكن لهُ ولد

« ولا اقدر اصف لك ما رأيتهُ من مروّة أسوالد ومحبتهُ فانهُ كان بعد تركهِ الجندية يشتغل في معمل لكي يعولني حتى مرض ومات بعد ان اوصى بي شقيقةً له اخذتني الى بيتها ولاطفتني اوّلاً لكنّها تغيّرت بعد ذلك واخذت تعذبني عذاب الشهداء وكان لها ولد وحيد يدعى ريشار رقّ لحالي ولاطفني مخفّفاً احزاني وعذابي . وفيما كنت احنُّ شوقاً الى الوطن مرضت والدة ريشار سنة كاملة كنت اخدمها اصدق الخدمة حتى تعجّبت وطلبت مني الصفح عن اساءتها اليَّ

« اخيراً ماتت وخرجتُ من بيتها وعزمتُ على الخدمة والاستطاء لاحصل معاشي فعرض عليَّ ريشار مساعدته بعد ان عرف قصّتي واخيراً طلب اليَّ ان اقترن به والحياء والادب يمنعانهِ عن ذلك زماناً . فلمّا رأيت مروّته وشرف عواطفهِ واخلاصهُ وضعت يدي بيدهِ واتخذتهُ لي رجلاً »

واستأنفت ماتيلدا حديثها قالت : « وبعد زواجنا باع ريشار ما يملكه لاجل نفقات الطريق فلمّا وصلنا الى هذه الناحية انخرط في سلك الجندية وعانى بثمن دمهِ وجُرح في الحرب مرارًا واحتمل عذاب الجندية بلا شكوى »

ثم سألت والدها عمّا حمل اسوالد على ان يخبرها بموتهِ فقال : « انني بعدما خُطفت جرحت جرحاً مميتاً وشاع في الجيش انني متُّ »

*

بعد هذا الحديث بخمس سنوات اي سنة ١٦٤٩ كان الامير الاي ساكناً قصراً فخيماً في مقاطعة باد وقد اعدَّ مائدة جلس اليها ومعه ابنتهُ ماتيلدا وحفيدهُ كرستيان الصغير والى جانبهِ لويزا الاميرة ثم دخل رفيقه القديم فيليب الذي صار اميرًا الاياً وصهره ريشار الباسل الذي ارتقى في الجندية الى رتبة بيكباشي . ودخل بعدهما الكاهن الغيور وهنّأ الجمهور على ما رزقهم الله من السعادة فقال : بارك الله بكم يا اعزائي وبيوم عُقد فيهِ الصلح واستتبَّ الامن وعاد السلام الى العيال ذلك اليوم الذي لا يوازيهِ الّا يوم قدّمتُ ماتيلدا وزوجها للاميرال النبيل « صاحب العواطف الشريفة » . فليحي الامير ! فليحيَ كل اهل الفضل والمروّة !

# حماسة البحتري

لمحة ادبيّة للاب لويس شيخو اليسوعي

الحماسة في اللغة الشدّة والباس وفي اصطلاح ارباب الادب مجاميع شعريّة ضمّنوها كثيرًا من منظومات الاقدمين لاسيما التي غلبت عليها المعاني الدالّة على التحمّس والبسالة في الحروب . وكان اوّل من طرق هذا الباب حبيب بن اوس الشاعر الشهير بابي تمّام الطائيّ وضع حماستهُ في عشرة ابواب افتتحها بالشعر الحماسي فكان لمجموعهِ من الرواج ما ضاعف شهرتهُ حتى قيل انّ ابا تمّام في اختيارهِ للشعر اشعر منهُ في نظمهِ لهُ

وذلك ما حدا بغيرهِ من الادباء الى ان يقتفُوا آثارهُ ويجاروهُ في العمل ويضعوا المجاميع الوسمة التي ضمّنوها اجود ما عثروا عليهِ من اشعار الاقدمين مباشرةً باهل الجاهلية ثم المخضرمين ثم المُولّدين. فتعدّدت الحماسات حتى ان الحاج خليفة في كتابهِ «كشف الظنون» عدّد منها بضع عشر وقد اخنى الدهر على بعضها فاخذتها يد الضياع كحماسة الاعلم الشَّنْتَمري (١ المتوفّى في اشبيلية سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م). وحماسة علي بن الحسن المعروف بشُتَيم الحلّيّ (٢ . والحماسة العسكريّة (٣ . وقد نجا بعضها الآخر مع عزّة وجودها في خزائن الكتب كحماسة الخالديّين وهما الاخوان ابو عثمان سعيد وابو بكر محمّد ابنا هاشم اللذان اشتهرا في خدمة سيف الدولة الحمداني صاحب حلب في القسم الآخر من القرن الرابع للهجرة وحماستهما معروفة بالأشباه والنظائر منها نسخة في المكتبة الخديويّة (اطلب قائمتها ج ٤ ص ٢٠٢) . وكالحماسة البصريّة في المكتبة عينها (٤ : ٢٢٩) لصدر الدين عليّ بن ابي الفرج البصريّ الذي قُتل بامر ملك المغول هولاغو سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) بعد ان خدم مدّةً امير حلب

---

١) ذكرها صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب عبد القادر البغدادي (ج ١ ص ٥٢٦ وج ٣ ص ١٦٥)

٢) اطلب كشف الظنون (طبعة لندن ج ٣ ص ١١٦)

٣) نفسه (٣ : ١١٦).

الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابا المظفّر يوسف وحماستهُ تُضاهي حماسة ابي تمّام. وكحماسة ابي الحجّاج يوسف بن الحسَن البيّاسي الذي ولد في بيّاس مدينة في الاندلس ثم رحل الى تونس حيث توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وفيها ألّف حماستهُ التي لم يبقَ منها سوى بعض الفصول في احد مخطوطات خزانة غوطا من اعمال المانية (*Mauzug*, Gotha, 13) قال الحاج خليفة (٣: ١١٥) انهُ وضعها في مجلّدين وصنّفها في تونس في شوّال سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٩ م) جمع فيها ما اختارهُ واستحسنهُ من اشعار العرب جاهليّها ومخضرميها واسلاميّها ومولّديها — وكحماسة ابي السعادات هبة الله عليّ الشجري العلوي المتوفّى سنة ٥٤٢ (١١٥٠ م) وعلى ظنّنا انّها الحماسة الموسومة في مخطوطات باريس بالعدد ٦٠٨ تاريخ خطّها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) كانت في خزانة كتب العلّامة شيفر (Blochet : *Catalogue des Mss. Or. de M^r C. Schefer.* p. 45) واسم المؤلف هناك ضياء الدين هبة الله (ابن) علي بن حمزة العلوي. قال الحاج خليفة (٣: ١١٦) في وصف هذا المجموع «هو كتاب غريب احسنَ فيه. ذكرهُ ابن خلكان»

على انّهُ ليس بين هذه البقايا الشريفة السالمة من تيّار الزمان ما يستحقّ ذكرًا كحماسة ابي عُبادة الوليد بن عُبَيد الشهير بالبحتريّ. فانّهُ اذ رأى ما نالهُ وصفهُ وقرنهُ ابو تمّام من السُمعة الطيّبة بتأليفه للحماسة قصد تجاراتهُ فوضع لوزير الخليفة المتوكّل الفتح بن خاقان حماسةً عارض فيها حماسة حبيب بن اوس. وقد ذكر ابن خلكان حماسة البحتري في تآليف هذا الشاعر في ترجمته. وكذلك ورد ذكرها في كشف الظنون للحاج خليفة في باب الحماسات. الّا انّ ذلك التأليف مع حسنهِ كما سترى كاد يتلف في جملة ما طُمس من آثار الادهار لولا همّة احد المستشرقين الهولنديين ل. ڤرنر (L. Warner) الذي عثر في القرن السابع عشر على نسخة منهُ في الاستانة فابتاعها وارسلها لتودع في خزانة دولتهِ في ليدن حيث تُرى اليوم في جملة مخطوطاتها الثمينة وهي كواسطة تلادتها (de Goeje et Houtsma: *Cat. Cod. Arab.* ed., 2ª, p. 385). وهذه النسخة راقية كما يظهر من ورقها وحبرها وخطّها الى القرن الخامس عشر للميلاد وهي مُتقَنة جدًا حُلّي وجهها الاوّل بالذهب والنقوش وذلك «برسم الخزانة الصمديّة العلويّة الأجلّيّة الفخريّة» كما ورد في مقدّمتها اشارةً الى احد الامراء

المماليك في مصر ممّن لم يحرّح باسمه . وقد كُتبت هذه النسخة بخطّ نسخي جلي مُحكم على ورق صفيق وضُبط قسمٌ منها بالشكل . وهي في ٤٠٠ صفحة وفي كل صفحة ١٥ سطرًا

وقد امتازت هذه الحماسة بعدّة امور . منها وفرة ابوابها فان البحتري جعلها ١٧٤ بابًا ضمّنها معظم المعاني الادبيّة التي دارت على السنة شعراء العرب

ومنها ايضًا عدد الشعراء الذين رُويت عنهم بعض اقوالهم فانهم يبلغون نحو الستمائة اكثرهم من شعراء الجاهليّة والمخضرمين . ولم يذكر الجامع من عهد العبّاسيين سوى نفر قليلين اخصّهم صالح بن عبد القدّوس . وكفى بذلك دليلًا على سعة محفوظات البحتري للشعر القديم

ومنها ايضًا حُسن الاختيار . فانك في هذا المجموع الواسع لا تكاد تجد بيتًا واحدًا يجفُّ الذوق السليم . فان البحتري يلوح في كل شذرة منهُ نقّادًا صحيحًا للشعر بصيرًا بمحاسنه

ويلحق بهذه الصفات مزيّةٌ أخرى يعرف ارباب الادب فضلها نريد بها تحاشي صاحب الاختيار في مجموعه لكلّ معنًى بذيء تنبو عنهُ الاسماع ولكلّ لفظة تمسُّ آداب الشبيبة . ولعلّ هذا المجموع هو الوحيد الذي يخلو من كل مجون . بل لا ترى فيه اثرًا للنسيب والغزل فيصلح لأنْ تتداولهُ احداث المكاتب دون الخطر على آدابهم وان يودي به ارباب المدارس . فانهُ احسن كتاب مدرسيّ يودعونهُ في ايدي الطلبة

هذه بعض صفات البحتري وقد اخذنا العجب انّ المستشرقين لم يكونوا بعدُ نشروا هذا الاثر النفيس وانهم كانوا فماروا لو وقفوا على نسخة ثانية منهُ ليعرضوهُ عليها ويصلحوا ما وقع فيه من الاغلاط

ولمّا كنّا في هولندة سنة ١٨٩٢ اطّلعنا على هذا الكتاب فسبّتنا محاسنه وأسرعنا الى نسخهِ مع قلّة الوقت الذي كنّا نستطيع ان نصرفهُ هناك فأمكنّا ان ننقلهُ بسبعة ايّام فقط . وكنّا قصدنا نشره سابقًا لولا تراكم الاشغال حتى الحّ علينا بعض الاصحاب فاجبنا الى ملتمسهم وباشرنا بطبع هذه الحماسة في العام الماضي سنة ١٩٠٩ في مجموع آثار مكتبنا الشرقي ( Mélanges de la Faculté Orientale ) فظهر منها اكثر من نصفها ثم انجزنا العمل في هذه السنة وألحقناهُ بفهرس واسع للشعراء المذكورين

في الكتاب على ترتيب حروف المعجم مع ايراد ما قالهُ كل شاعر من الابيات في كل بحر وقافية. ثم عدنا فطبعنا الكتاب على حدةٍ طبعةً مستقلة لافادة الادباء

واذ كنَّا على وشك النجاز ونحن نشتغل في حواشي الكتاب وبيان رواياتهِ وتذييلهِ بالملحوظات اذ بانتنا نسخةٌ منهُ مرسومة بالتصوير الشمسي على اجود منوال وابدع مثال بهمَّة اساتذة ليدن مع فهرسين للاعلام والقوافي على طريقة غير الطريقة التي اتبعناها. وهذه الطبعة متقنة جدًّا مرسومة على ورق مصقول غاية في الصفاقة والحسن فكأنَّ الحاصل عليها يحصل على النسخة الامّ بل اتى الرسم اجود من الاصل لكثرة العناية بهِ وها نحن قد اثبتنا هنا صفحة من هذه النسخة تنويهاً بمحاسنها كما أننا نشكرُ الشكر الجسيم كل من تولَّى هذا العمل وخصوصاً لجنة أدباء ليدن الذين خصُّوا بهذه التحفة قسماً من تركة فقيد الآداب الشرقيَّة دي غوي (Fondation de Goeje) ثم نثني ايضاً على همَّة العالمين صاحبي الفهرسين د. س. مرجليوت (D. S. Margo-liouth) و ر. غاير (R. Geyer) فالحق يقال انَّ هذه الطبعة طُرفة من طرف الدهر فلا نتعجَّب بعد هذا انَّ ملتزمي طبعها جعلوا ثمنها مائتي فرنك. وقد جاءت هذه النسخة في اوفق فرصة لتساعدنا على تأليف ذيل طبعتنا وعلى الاخصّ لاصلاح بعض اغلاط وقعت في نسختنا التي اضطُرنا كما قلنا ضيقُ الوقت الى ان نسرع فيها غاية السرعة وكذلك لعين السبب كنَّا سهونا عن نسخ ابيات قليلة فامكننا اثباتها في الذيل بعد المقابلة مع الاصل

ومما استفدنا ايضاً من هذه الطبعة المرسومة بالتصوير الشمسيّ انَّنا نقَّحنا كثيرًا من الاغلاط الواقعة في النسخة الامّ فانَّ ناسخها مع اتقانهِ لها لم يُحسن ضبط الفاظ منها بل روى بعض اماكن بالغلط فاشرنا الى ذلك في ذيل طبعتنا

وجعلنا هذا الذيل على شكلين شكل منهُ اودعناهُ اصل الحماسة البحتريَّة مع فهارس الاعلام والقوافي واصلاح الاغلاط مع بعض ملحوظات قريبة المنال. وهو الذي نشرناهُ لافادة الشرقيين خصوصاً الذين لا تهمهم الملحوظات العلميَّة والروايات وجعلنا ثمنهُ ١٥ فرنكاً

امَّا الشكل الثاني فتذييلهُ اطول يبلغ المائة صفحة ويحتوي على روايات كل عدد وما ورد فيهِ من الابيات في كتب الادب على ما اعتادهُ المستشرقون في طبعاتهم

الانتقاديَّة مع الملحوظات اللغويَّة والتاريخيَّة وها قد نجز ايضاً طبع هذه النسخة التي قصدنا فيها خدمة المستشرقين لتعرض في مكاتب العلماء والخزائن العموميَّة . وجعلنا ثمن هذه الطبعة الثانية ٢٥ فرنكاً الَّا الذين سبقوا فاكتتبوا على نسخة او اكثر منها . وفي الختام نتمنَّى ان يبحث ادباء الشرق على نسخة ثانية من هذه الحماسة للمقابلة ولاصلاح ما طرأ على نسخة ليدن من الشوائب . ونشكر كل من آزرنا في العمل من الرهبان اخوتنا

# البرتقال : زراعتهُ وآفاتهُ

للسيو اوغست جوفروا الفرنسويّ نزيل بيروت ( تابع )

﴿ هوامّ البرتقال ﴾ يتهدَّد البرتقال آفةٌ عظيمة ألا وهي عدَّة هوامّ صغيرة دقيقة لا تكاد تبصرها العين الَّا انَّها كثيرة الشرّ فتتحامل على شجره واذا تسلَّطت على أنصابها ازدادت بعد قليل حتى انَّها تشمل كل اقسامها وفروعها واوراقها وثمارها فتفتك بها فتكاً ذريعاً وتُتلفها بعد زمن وجيز ما لم يتلافوا شرَّها . وللبرتقال اعداء غير هذه الهوام كحشرات مختلفة تسري اليها وتُحِلّ بها الاضرار . وقد سبق القول انَّ تقضيب الشجرة وقطع اغصانها غير النافعة لممَّا يزيد قوَّتها على دفع تلك الهوامّ بما يدخل في اعطاف الشجرة من النور المحيي والهواء الناشف وكلاهما دواء ناجعٌ ضدّ الهوامّ والحشرات ولذلك يختار الاركيُّون لزراعة البرتقال الاماكن المكشوفة للنور والرياح كالتلال المرتفعة المعرضة للشمس اليابسة الهواء ولا يدَعون اغصانها تتكاثف ليجري بينها الهواء . وقد لحظوا انَّ المزروعات التي على هذه الشاكلة كثيرة الجدوى وافرة المحاصيل بخلاف الاشجار التي تكون في الاماكن الواطئة او الكثيرة الرطوبة على شواطئ الانهار وسواحل البحر فانَّها تكون عرضاً للآفات التي اشرنا اليها

﴿ بيان الاضرار التي تلحقها الهوامّ بالبرتقال ﴾ اضرارها على نوعين فالضرر لاوَّل انَّها تمتصّ مائيَّة الشجرة كما تسحب الطامية الماء من المعين لانَّ لهذه الهوامّ الصغيرة أجهزةً طبيعيَّة تمكّنها من الشجرة اخذها فوهتها المستطيلة التي هي كمنقار تنفذهُ في انسجة الشجرة او قشرتها او وَرقها او ثمرها فتنفث فيه نوعاً من السم الذي

يُلحق بها الأذى. فاذا كثرت هذه الهوامّ ترفت قوّة الشجرة. والضرر الآخر هو ما تفرزهُ هذه الحشرات من الندى الدبق الذي يمتدّ على الشجرة وقشرتها وجذورها فيختمر وباختماره يلتصق بها شبه عصارة سوداء تسدّ مسامّها وتمنعها من التنفُّس فتصبح الشجرة بين آفتين باطنة فظاهرة تؤدّيان بها الى العطب

﴿ تعريف هوامّ البرتقال ﴾ انّ الهوامّ التي تُصيب باذاها شجر الليمون واثمار البرتقال على نوعين: نوع منها محميّ ( cochenilles protégées ) ونوع أكشف ( cochenilles nues ). فالمحميّ منها اذا ضرب اطنابهُ على شجرة واختصّها بطعامهِ انفذ فيها خرطومهُ الصغير ولا يلبث ان يُفرز مادّة شمعيّة تسيل فوق جسمهِ فتُصبح لهُ على شبه الترس يقيهِ من آفات اعدائهِ وهذه المادّة تلتحم مع الشجرة حتى تبقى الهامّة في كنفهِ لا يزحزحها شيءٌ عن مكانها. امّا النوع الاكشف فانّهُ يبقى على حركتهِ ويتنقّل من مكان الى آخر او تحملهُ الريح او الطيور الى جهات شتّى وهذا النوع لا يفرز مادّة شمعيّة كالسابق او تكون تلك المادّة فوق جسم الهامّة دون ان تلتحم بالشجرة فتحملها الهامّة معها حيثما سارت

﴿ وصف النوع الاوّل ﴾ هذا النوع الذي يشمل الهوام المحميّة يؤذي شجر الليمون والبرتقال اشدّ الاذى. وهو على اشكال مختلفة تتفق كلّها بالمادّة الشمعيّة التي تصونها. فمنها شكل مستطيل ( la cochenille longue ) اصلهُ من الصين وانتقل منها الى جهات اميركة . ومنها شكل ارجواني ( la cochenille pourprée ) يُرى في كل البلاد التي تستنبت البرتقال وهو من اعظم الهوام ضررًا بها. وهذان الشكلان يعرفهما العلماء باسم ميتيلاپسيس ( Mytilapsis ) ومنها شكل احمر ( la cochenille rouge, Aspidiotus ) وهو على عدّة ضروب. ومنها ما هو اسود اللون وبعضها يكون مشتّق مُفلّس ( cochenille glume, parlatoria ). وقد وجدنا في واحل الشام خصوصًا الشكل الارجواني والشكل الاحمر والشكل المفلّس . وكل هذه الاشكال متشابهة في اطوار حياتها وعملها. واذا حمات انثاها توفّر بزرها ويبقى مصونًا تحت كنف المادّة الشمعيّة التي تستر الام الى أن تنقف بيضها بعد حضانة طويلة . ويكون الصغار غاية في الدقّة الّا انّ العين المجرّدة تميّزهم وتراهم في تمام البنية مع صغرهم فيتهافتون على اوراق الشجرة واغصانها واثمارها ويغرزون فيها خرطومهم الطويل

وينظرهم الراقب يكبرون بامتصاصهم لها على انَّ حياتهم العمليَّة قصيرة لا تدوم الَّا بضع دقائق وان طالت بلغت ساعةً ونصف وبعد قليل يفرزون المادَّة الشمعيَّة التي سبق القول عنها فتشتدّ وتلتحم فوقهم الى ان يقوم بدلهم طور جديد. وهذا الترس المشمَّع يختلف لونًا على حسب اجناس الهوامّ فيكون اصفر او احمر او ازرق او اشقر وكذلك تختلف اشكالهُ فمنهُ المفلطَح ومنهُ الطويل او البيضويّ الشكل. والاناث منهـا تُنسِل مرَّتين فيلتحم سلكُها بالشمع الذي تفرزهُ. امَّا الذكر فانَّهُ يُنسِل اربع مرَّات وكبرهُ نصف كبر الانثى واذا تمَّ نسلهُ الرابع تجنَّح وطار. فيمرّ عليهِ الى تمام اطوارهِ نحو خمسة او ستَّة اسابيع في الصيف وفي الشتاء تطول هذه المدَّة. فالأنثى اذا لصقت بمكان من الشجرة وغرزت فيهِ مَصَّها لا تتحرَّك البتَّة وإن تلف ترسها الشمعيّ الواقي لها فاصابها الهواء ماتت من ساعتها. وتحمل الانثى كل مرَّة من ١٠٠ الى ٥٠٠ ذرَّة فيتوالد هؤلاء حتى يبلغوا بعد قليل الوف الالف وملايين الملايين وذلك في فصل واحد من السنة فترى من ثم كم يستدعي دفع آفتها من العناية والاجتهاد الى أن تُنظَّف الاشجار من بقاياها

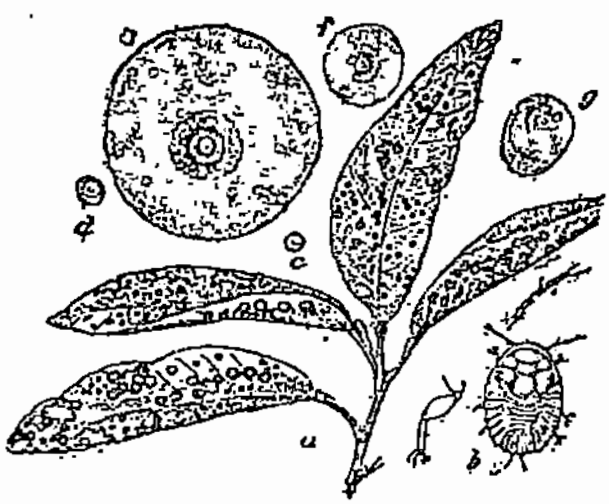

هامَّة البرتقال من الجنس المستر مكبَّرة في كلّ اطوار حياتها

﴿ وصف الصَّنف الثاني ﴾ قلنا انَّ هذا الصنف يمتاز عن الاوَّل بانَّ اشكال الهوامّ تتحرَّك طول حياتها وتتنقَّل والبعض منها لا يفرز شيئًا من المادَّ الواقية لهُ من الآفات. امَّا البعض الآخر فانَّهُ يفرز مادَّة شمعيَّة كالصنف الاوَّل غير انَّ هذه المادَّة توافق الحشرات لا تلصقهـا بالشجرة كتلك. ويوجد ضربٌ منهـا يُفرز

مادَّة قطنية او شبه الدقيق وكل ذلك مما تحرس به نفسها وتقي صغارها من آفات الهواء واحوال الجوّ وضروب الاعداء الذين يترصَّدونهم وهذا الصنف يشتمل على عدَّة انواع اخصها نوع الليكانيوم (Lecanium) الذي لا يفرز شيئاً من المواد لوقاية نفسه ويكون اما اسود اللون او نصف كروي او مستطيل الشكل . وحشرات هذا الصنف تشبه الصنف الاوَّل في حياتها وولاداتها ونموّها

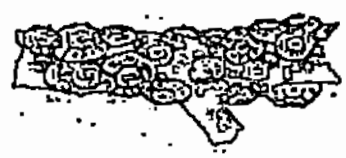

حامَّة البرتقال من الجنس المكشوف عند امتصاصها الشجرة

﴿ علاج للبرتقال من آفته ﴾ لعلاج البرتقال من الهوام المتسلطة عليه طريقتان . الاولى بان تُرَشّ الاشجار بموانع مسمومة فاذا امتصَّتها الهوام تسمَّمت وماتت ثم انَّ تلك الموانع تسيل على الشجرة وتنفذ تحت الستر الواقي للحيوان فينحلّ سترها وينكشف عنها فتتلف . والطريقة الثانية هي طريقة الغازات السامَّة فانَّ الزرَّاع يسلطها على الشجرة بالتدخين وتتنسَّمها الحشرات فتموت

( الطريقة الاولى ) انَّ اخصّ الموانع التي تصلح لقتل الهوام المعادية للبرتقال انما هو البترول لانَّ البترول من شأنه ان يُحلّل كل الاجسام الدهنيَّة كالمواد التي تفرزها الهوام وتقي بها نفسها وهو اذا أصابها فعل فيها فعل السمّ . الَّا انَّ البترول المستعمل لذلك يكون على صورتين فمنهُ المستقطر ( au Distillé ) لأنهم يتَّخذون لذلك ما بقي من البترول المعدني بعد استقطاره وهو المسمَّى مازوت ( Mazout ) في فرنسة وتبيعهُ كل الشركات التي تستخرج البترول من مناجمه . اما تركيبهُ فيكون هكذا لكل مئة لتر يؤخذ ثلاثة لترات من البترول المستقطر ويضاف اليه ١٠٠ غرام من الصابون و ٢٠ غراماً من الصودا الحيَّة . هذا للبرتقال . اما الليمون ( citrons ) فيتَّخذون لهُ خمسة لترات من البترول و ١٥٠ غراماً من الصابون و ٢٥ غراماً من الصودا مع ١٠ لترًا من الماء وانما اضافوا الى المزيج شيئاً من الصودا لانَّ لولاها لما تحلَّل البترول في الماء . وكذلك يجعلون نحو خمسة لترات من الماء الحارّ في المزيج ثم يعمدون الى مضخَّة ( مرشَّة ) ويرشّون الشجرة بذلك المزيج من كل جوانبها ويخلطونهُ خلطاً محكماً

ويكون هذا العلاج انجع وافضل اذا كان الزارع كما قلنا سابقاً يسبق وينظِّف

الشجرة بقطع الاغصان المتطفلة وإزالة الزوائد التي تمنع نفوذ الهواء والشمس اليها

واعلم انَّ البترول يتَّخذ على صورة اخرى نزيد البترول المصفَّى (pétrole raffiné ou lampant) المعروف ايضاً باسم كيروزان (Kérosène) فيأخذون منهُ ستَّة لترات يمزجونها باربعة لترات من الماء الحار و٩٠ لترًا من الماء البارد ويجعلون في المزيج ٣٦٠ غراماً من الصابون السكّي المعروف بالصابون الاسود ويرشُّون المزيج على الشجرة بالمضخَّة كما مرَّ

وقد تحقَّق ارباب الزراعة انَّ العلاج بالبترول على نوعيهِ فعَّال ينفي بعد قليل آثار الهوامّ وهو مع هذا قليل الكلفة لاسيما البترول المُستقطر. ويكرَّر العلاج ثلاث مرار في السنة في شباط وايار وآب

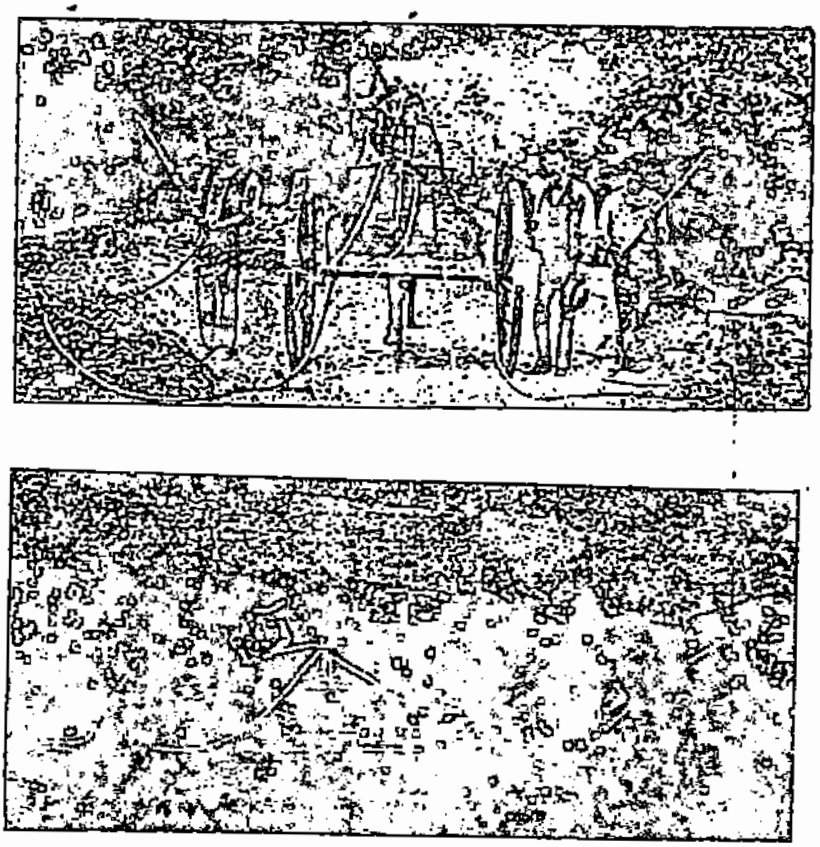

مضخَّتان لرشّ البترول على شجر البرتقال

و يلحق بهذه الطريقة مزيج آخر اي بالراتينج ( résine ) بدلًا من البترول فيخلطون كيلوغرامين من الراتينج مع ٥٠٠ غرام من الصودا و ٣٥٠ غراماً من الصابون السكي. فيغلون هذه المواد في إناء يملأ نحو اربعة اصابع من الماء ويمزجونهُ حسنًا الى ان يُصبح لونهُ كالقهوة السوداء والافضل ان يُرَشّ وهو حام.

وكذلك شاع في بعض البلاد لاسيما اميركة الشمالية استعمال مزيج ابيض يدهنون به اشجار الليمون وهو يتألف من ٥ كيلو من الكلس الحجري و٣ كيلو و ٣٠٠ غرام من الكبريت فيغلونها في ١٥ لترًا من الماء ثلاث ساعات في اناء من الفخّار (لأنَّ الكلس والكبريت يؤثران في النحاس) ثم يزيدون ٨٥ لترًا أخر ويدهنون الشجرة كلها بهذا المزيج الابيض بعد شهر آذار لئلا يضرّ بالاغصان الجديدة. ويُشترط ان يكون الكلس ناعمًا صافياً مغربلًا وكذلك الكبريت مُصفًّى . وقد شكر هذه الطريقة كل من استعملها فانها نجّت مزدرعات الليمون من الهوامّ الضارّة

( الطريقة الثانية ) اي طريقة الغازات تقوم بتدخين غاز الحامض السيانديريك ( acide cyanydrique ) وذلك بان تجعل كَنيسة من الحامض الكبريتي في اناء ويغمسون فيهِ سيانور البوتاسيوم ( cyanure de Potassium ) فللحال يتصاعد من هذا التركيب ذاك الحامض السامّ اي الحامض السيانديريك الذي لا يستنشقهُ حيوان الّا مات بريحهِ القتّال وعليهِ يلزم في استعمالهِ اتّخاذ كل الاحتياطات والوسائط الواقية

خيمة لتدخين البرتقال بغاز الحامض السيانديريك

من اضراره وقد عملوا لذلك خيماً واسعة من الجنفاس السميك او من المشمع فينشرونها بواسطة اخشاب وبكرات فوق بعض الاشجار من البرتقال بحيث تغطّي الخيمة الشجرَ من كل جانب ثم يجلسون في داخل الخيمة الماء من الحامض الكبريتي ويلقون في الاناء من خارج الخيمة قطعاً من سيانور البوتاسيوم فينبعث ريح الحامض في الخيمة كلها ويمتدّ في كل اقسام الشجرة ويقتل كلّ ما عليها من الهوامّ . ثم ينقلون الخيمة الى اشجار أُخرى ويكرّرون العمل حتى تُدَخَّن الاشجار كلها . امّا المركّب فتكون كمّيّاتهُ على هذه النسبة :

| | |
|---|---|
| سيانور البوتاسيوم | ٣٠ غراماً |
| الحامض الكبريتي | « « |
| الماء | ٦٠ « |

ويجوز ايضاً اتّخاذ المركّب على هذه الصورة :

| | |
|---|---|
| سيانور البوتاسيوم | ٥٠ غراماً |
| الحامض الكبريتي التجاري | ٧٠ « |
| الماء | ١٠٠ « |

ونكرّر هنا تنبيهاً على متّخذي هذه الطريقة ان يجتنبوا استنشاق الحامض المنبعث من هذا المزيج لئلّا يُصابوا بسته الذعاف ولذلك الاولى ان يضعوا اوّلاً الماء في الاناء ثم الحامض الكبريتي ويُلقوا اخيراً السيانور عن بُعد

وهذه الطريقة افضل من الطريقة الاولى اذ لا تترك جرثومةً ضارّة الّا انها كما رأيت ذات خطر وهي ما عدا ذلك تقتضي نفقات بالغة بخلاف الطريقة الاولى التي يسهل استعمالها وقد وُضعت لذلك عدّة ادوات تعين الزارعين في عملهم كالمضخّات والآلات الرشّاشة (pulvérisateurs) والتساطل (الحيّات) التي يستعينون بها للعمل . ولكن يجب على الزارع ان ينظّف هذه الآلات وينقّيها بعد استعمالها لئلّا تتلف بعد زمن قليل وتذهب فائدتها

وكذلك يحسن بنا ان نذكر القرّاء بانّ لهوامّ البرتقال والليمون اعداء جعلهم الله كدواء لذلك الداء ألا وهي حشرات صغيرة تُدعى كُكْسِنال (coccinelles) اخصّها الجنس المنتشر في اوستراليا (coccinelles d'Australie) قد طُبع على معاداة هوامّ البرتقال فاذا وُجد حيث تعيش ناجزها القتال ولا يزال يكرّ عليها

الغارات حتى يُتلفها بعد زمان قليل كما رأى اهل بيروت منذ عامين لمَّا أُصيب البرتقال بآفة الهوامّ فاستحضر بعضهم من اميركة حشرة الككسينال فانتشرت وعمت ضررًا غريبًا ونظّفت حدائق بيروت من زحفات الهوامّ الضارَّة

هذا ما رأينا ان نلحظهُ هنا لفائدة الشرقيين. ومن اراد المعلومات الواسعة في ذلك فعليه بكتاب نقلناهُ الى الفرنسويَّة وطبعناهُ سنة ١٩٠٤ هذا اسمهُ:

Maladies des Orangers. Cochenilles et Mites des Citrus par G. L. Marlatt. Traduction avec Commentaires par *Auguste Geoffroy*. *Cannes*, 1904.

# السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عمرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## ٦ الآداب الماسونيَّة

عرفنا من الفصول السابقة ما هي الماسونيَّة وما هي الغايات الملتوية التي ترمي اليها وما هو نظامها الخفي والعلنيّ. بقي علينا ان نتقصَّى آثارها ونتتبَّع اعمالها النبتة بحقيقة امرها فان الشجرة على قول الربّ تُعرَف من ثمرها اذ لا تستطيع شجرة صالحة ان تأتي بثمر رديّ ولا شجرة رديئة بثمر صالح فلا يُجنى من الشوك عنب ولا من العوسج تين. ومثلهُ قول العرب: كل اناء ينضح بما فيهِ

وقد دعونا هذا القسم من مقالاتنا بالآداب الماسونيَّة ونحن مستكفون من الجمع بين هاتين اللفظتين المتنافيتين كقولنا النور المظلم او العسل المرّ ألا انَّنا رأينا الماسون يفتخرون بآدابهم فاضطررنا الى موافقتهم في الاسم ريثما يلوح لنا ما تحت هذه اللفظة من المعنى. وكم اسم دون جسم! وعليهِ نستميح عذرًا من قرَّائنا لتزيين مقالتنا بهذا العنوان الفخيم فانَّهم يرون قريبًا ان شاء الله ان الآداب الماسونيَّة كالقبور المجصصة التي اشار اليها السيِّد المسيح (متى ٢٣: ٢٧) فانَّها جميلة من خارجها وهي مملوءة في الباطن نجاسةً ونتانة

اعلم انَّ الادب في تعريف الفلاسفة عبارة عمَّا يُحترَز بهِ من جميع انواع الخطأ.

وكثيرًا ما يراد في اصطلاحهم تهذيب الاخلاق البشريّة وتثقيفها على ما يقتضيه العقل السليم. ولمّا كان البشر من مخلوقات الله المستدلّين بالنطق على وجود خالقهم وقد وُجدوا على الارض ليعيشوا بالتعاضد والاخاء في الهيئة الاجتماعية وهم مع ذلك افرادٌ مركّبون من نفس وجسد وقوًى عقليّة نتج عن ذلك عدّة فرائض او واجبات ينبغي عليهم ان يقوموا بها اوّلًا نحو البارئ سبحانهُ وتعالى رب العالمين. ثم نحو القريب في اطوار المجتمع الانساني فيؤدي بعض الناس للبعض الآخر ما يستوجبون من الحقوق. واخيرًا يضاف الى ذلك واجبات الانسان نحو نفسهِ لبلوغ غايته في الارض

وها نحن نستقري هذه الواجبات في ثلاثة ابواب لنرى كيف يقوم بها الماسون

## الباب الاوّل

### الماسون وواجبات الانسان لربّ العالمين

#### ١ اعتقاد وجود الله

انّ رأس كل المعتقدات البشريّة وجود اله واحد واجب الوجود ازليّ قادر على كل شيء عالم بكل شيء خالق كل شيء بمشيئتهِ يحتاج كل مخلوق اليهِ ولا يحتاج هو الى احد. قال الرسول المصطفى في رسالتهِ الى العبرانيين (١١: ٦) ان الذي يدنو الى الله يجب عليهِ ان يؤمن بانهُ كائن. وكل هذه الصفات العلويّة تؤخذ من النتائج العقليّة التي يمكن الانسان ان يستفيدها بنظر الادراك حتى ولو فُرض ان الوحي لم يشهد بها

والحال انّ الماسونية وقتًا لمبادئها الكفريّة تنكر حقيقة وجود الخالق. وليس هنا الكلام على بعض افراد الماسون الذين يجهلون اسرار عشيرتهم او لم يبلغوا بعد الى معرفتها تمامًا. وكذلك نستثني بعض البلاد التي لم تبلغ فيها الماسونية مداها فتخاف من المجاهرة بالزندقة. وانّما كلامنا على الشيعة الماسونية من حيث هي جمعية قائمة بذاتها تجري عمومًا بموجب قوانين سرّيّة يعرفها بعض اعضائها المتقدّمين فيها. وكان هنا حقًا بان نكرّر الشهادات التي سبقتنا فدوّنّاها في كرّاسنا الأوّل حيث اثبتنا انّ الماسونية تعادي كلّ دين حتى الدين الطبيعي فتنفي وجود الخالق او اذا تلفّظت باسمهِ ارادت ليس الهًا قائمًا بذاتهِ بل الطبيعة ومجموع الكائنات. ولو اردنا لأتينا بشواهد أُخرى تزيد قولنا اثباتًا. فهاك مثلًا ما خطب بهِ الاخ فرنند فور (Fernand Faure) في

المؤتمر الماسوني السنوي سنة ١٨٨٥ وخطبتهُ نُشرت في اعمال ذلك المؤتمر السرّية ص ٧٠٦ ( Bulletin du Grand Orient, 1885, p. 706 ) : « اني أُعلن بينكم صريحاً انهُ من الواجب علينا ان ننفي من العقول ليس فقط التعاليم الاكليريكية ولكن كل نفوذ ديني على اي صورة كان. فكل اعتقاد ديني اساسهُ ما وراء الطبيعة ( كالاله غير المنظور ) انما هو ضعف في عقل الانسان »

ونشر قبلهُ الاخ م. زيل (Zille) في النشرة الماسونيَّة الالمانيَّة المطبوعة في ليبسيك في ١٥ ك ١ سنة ١٨٦٦ ما اعلن بهِ الاخ م. دي غاغرن ( Ch. de Gagern ) في مجتمع الماسون الذي عُقد تلك السنة : « علينا نحن الماسون ليس فقط ان نرقى فوق طبقات كل الاديان بل نتحرَّر ايضاً من كل اعتقاد وجود الهٍ ايًّا كان ». ثم ختم صاحب الجريدة زيل ما رواهُ اخوهُ بالماسونيَّة قائلاً : « فترى من ثمَّ انَّ صَرح الاستبداد الروحي قد سقط وانَّ المتحرّرين عن كل اعتقاد قد فازوا ظافرين حتى انهُ لم يبق الآن احد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البُله والحُمقى » كذا!

وكان قبل ذلك سنة ١٨٧٥ الاسقف الاميركي السيد مرتين نقل قراراً سرّياً وقف عليهِ لاحد زعماء الماسونية في عاصمة برلين جاء فيهِ قولهُ : « انَّ تصوُّر الله هو ينبوع وركن كل استبداد وكل ظُلم » كذا !

وطبقاً لهذا المعتقد امر كبير رؤساء المحافل الماسونيَّة في ايطاليا سنة ١٨٧٨ ان يستبدل رؤساء المحافل سؤالاً كانوا يلقونهُ سابقاً على طلبة الماسونية وهو « ما هي واجباتك نحو الله » فقرَّروا ان يُلقى بدلاً منهُ السؤال الآتي : « ما هي واجباتك نحو البشريَّة (١

ولم يكتف الماسون بان ينفوا ذكر الله في مجتمعاتهم بل اتَّفقوا على نفيهِ ايضاً من كتب التعليم في كل المدارس المنوطة بالحكومة فنجح مسعاهم في بعض الدول كفرنسة

ولعلَّ القارئ يقول لنا انَّ الماسون في بلادنا ليسوا على هذا الاعتقاد فانهم يؤمنون بهِ تعالى ويجاهرون باعتقادهم. انَّ جوابنا على ذلك ان الماسونية في بلادنا منوطة خصوصاً بشرق فرنسة الاعظم فان كان الرأس لا يؤمن بالله أفلا يجوز نسبة الزندقة الى الاعضاء ؟ وان صحَّ قول الشاعر :

(١ اطلب نشرة العالم الماسوني ( Le Monde maçonnique 1878, p. 204 )

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينهُ فان القرين بالمقارن مُقتدِ

فكم بالحري يصح قول الآخر:

اذا شئتَ ان تقتاس أمر عشيرةٍ وأخلاقها فانظرْ الى من يَقُودُها

ويحسن بنا ان ننقل هنا ما اخبر به شاهين بك مكاريوس (١) من الدرجة ٣٣ في كتابه « فضائل الماسونيَّة » (كذا) في الصفحة ١٢٥ تحت هذا العنوان « بدعة الشرق السامي الفرنسوي » قال:

وقام الشرق الفرنسوي الذي يتبعهُ محفل لبنان في بيروت ببدعة جديدة (اعني بدعة تُضاف الى بدع سابقة) نسردها للقارئ بالاختصار

جرت العادة انَّ كل المشارق الماسونيَّة والمحافل الكبرى لا تضمُّ اليها من لا يعتقد وجود الله وخلود النفس (وقد بيَّنَّا كذب هذا الزعم بشواهد كافية) . . . فخطر لبعض اعضاء الشرق السامي الفرنسوي (بل قُل لعمدته ورؤسائه الكبار لانَّ الاعضاء لا يستطيعون شيئًا الَّا بايماز الرؤساء) إلغاء هذا البَنْد وعدم سؤال الطالبين عن الاعتقاد بالله والخلود (وبالحري جحودهما كما بيَّنَّا) واتهم لهذا السبب الشرق السامي (!) الى قسمين قسم موافق لرأيه وقسم غير موافق لهُ (والصواب انَّ المنتمين بين الماسون كلهم واثنون) ولمَّا علمت بهِ المشارق السامية والمحافل الكبرى عدَّتهُ مخالفًا للعهود الماسونية وناقضًا لاهمّ اساساتها (والاحرى ان يُقال انهم خالفوا من الفضيحة فتنبهت راتحة الماسونية المنتنة) فنشرت في جرائدها ومحافلها كلها اعتبار الشرق السامي الفرنسوي ناكثًا للعهد مخالفًا للمبادئ الطاهرة (وقد علمت وستعلم طهر الماسونية !) مناقضًا للتعاليم الادبيَّة وحرَّمت على اعضائها زيارة كل المحافل التابعة لهُ اذا كانت تصرّ على الغاء الاعتقاد بالله والخلود (وكنَّا نعلم انَّ الشرق الفرنسوي مُصرٌّ على نكرانه انَّ الحزب الماسوني فكان جعجعة بلا طحن واحتجاجًا لستر عورة الشيعة) . ولمَّا بلغ محفل لبنان هذه البدعة الحديثة (المنكشفة بعد احتجاجا) قام اخوانهُ وقعدوا (بل قعدوا وناموا) لهذا الخبر وكنتُ في مقدَّمة القائلين بالخروج عن طاعة الشرق السامي الفرنسوي اذا اصرَّ على بدعته الجديدة (ما اعظم شهامتك عافرم يا شاهين ! وماذا صنعت ؟ اسمعوا المزعبرجي) واجتمعتُ باخواني اعضاء المحفل واتَّفقنا فكتبنا الى الشرق السامي الفرنسوي اننا لا نرغب في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود (اي نكرانهما علانيةً) وانَّنا لا نحبّ حذف هذه العبارة من قانوننا فاجابنا الشرق السامي انهُ اعملوا ما تريدون وابقوا كما كنتم » فسُررنا لذلك ولا يزال محفل لبنان يسأل هذا السؤال و يعتقد هذا الاعتقاد الى الآن

---

١) توفي شاهين بك في اواسط الشهر حزيران المتصرم بغتةً فحضر امام ربّه مزدانًا بسمات الماسونية والتاجا الشرفية التي عدَّدها في صدر كتيبه وهي تستغرق نصف الصفحة من هذه المجلَّة . فلا شكَّ انهُ يكون بازاء الديَّان لمن الماسونية والتاجا وذويها

فأمسكْ ايها القارئ عن الضحك ودعنا نسأل المرحوم شاهين بك الاسئلة الآتية وان كان الموت اسكتهُ عن الجواب فنطلب الى اخوتهِ بالماسونية ان يجيبونا . عرفتم ايها الجماعة انَّ الشرق الفرنساوي السامي الذي انتم تحت حكمهِ ألغى ذكر الاله وحقيقة خلود النفس أفما كان هذا كافياً لتعلموا بأنَّ الماسونية مبنية على الزندقة وجحود الخالق ؟ تقولون انكم لم تُسَرُّوا بهذا الخبر وقمتم وقعدتم لهُ . ولكن ماذا يفيدكم القيام والقعود ان بقيتم مرتبطين معهُ بروابط الطاعة ؟ تقول يا شاهين انكم « تهدَّدتم بالخروج عن طاعة الشرق السامي اذا اصرَّ على بدعتهِ » وقد أصرَّ ولا يزال مُصراً على كفرهِ وانتم لا تزالون تحت حكمهِ فاذن انتم موافقون لهُ على زندقتهِ . وبعد الوعد والوعيد كيف انتهت المسألة ؟ يقول شاهين بك انهم كتبوا ( بكلّ احترام ) الى الشرق الفرنسويّ « انهم لا يرغبون في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود ولا يحبُّون حذف هذه العبارة » والنعم من هذه الكتابة كانَّ ماسون سوريَّة محتاجون الى اجازة شرق فرنسة السامي ليؤمنوا بالخالق ! وهكذا انتهى تهدُّدهم بالعصيان والاحتجاج على تلك العشيرة المعطّلة الكافرة . وتمَّ سرورهم اذ علموا بان الشرق السامي بقي هو على ضلالهِ ولكن سمح لهم ان يعملوا ما يريدون . فالآن عُدْ ايها القارئ الى القهقهة وأنظر مماحكات الشيعة الماسونية وتحقَّق بلا شك انَّها متأصلة في الكفر وان كان في العشيرة بعض الأغرار الذين لا يعلمون الحقيقة فقد ظهر الحق وزهق الباطل !

وان اردت شهادة صريحة على نكران الماسون في بلادنا ايضاً بوجود الخالق فراجع ما نقلناهُ في المشرق ( ص ٣٩٠ ) عن الريحانيَّات ( المجوسيَّة ) حيث جعل ذاك الكاتب الوقح البشر عموماً كجرادين ( ولذلك دعوناهُ بالجردون الكبير ) لا يفقهون شيئاً من امور العالم ولا يعرفون أهذا العالم صانع ام لا فيعيشون ويموتون كالبهائم !!!

٢ الماسونية والمعتقدات

ان كان الماسون ينكرون الخالق فما قولك بالمعتقدات الدينيَّة التي اوحى بها الله على يد انبيائهِ وخصوصاً بواسطة ابنهِ الالهي الكلمة المتجسّد لخلاص البشر قال الشرق الفرنسوي السامي في نشرة سنة ١٨٩٥ ( Bulletin du Gr. Orient, Août-Sept 1895, p. 310 ) : « قرَّرت عشيرة الماسون بأنها تأبى اعتقاد اي حقيقة دينيَّة كانت »

وليس هذا القول رأياً خاصاً بمحافل الماسونية الفرنسويَّة بل يشمل الماسونيَّة عموماً .

والدليل على ذلك انّ الماسون سنة ١٨٦٩ لمّا علموا بقرب عقد المجمع الفاتيكاني في رومية ارادوا هم ايضا ان يجتمعوا لاعلان مبادئهم فاجتمع منهم في نابولي ٧٠٠ نائب عن المحافل الماسونية في كل انحاء المعمور وكان بينهم نائب عن جهات سوريّة وترأّس هذا المحفل الرئيس «ريكردي وافتتح كلامهُ بقول اليهود عن المسيح امام بيلاطس (لوقا ١٩: ١٤) «لسنا نريدهُ ملكاً» ثم اتّفقوا على نشر اعلان ضمّنوهُ المبادئ الماسونيّة على هذه الصورة كما نشرتهُ وقتئذٍ جريدة الماسون الرسميّة في فيرّنسة:

«انّ الموقعين بذيلهِ نوّاب أمم العالم المتمدّن المختلفة الملتئمين في نابولي للاشتراك بالمجمع المضادّ (اي المضاد لمجمع الفاتيكان) يثبتون المبادئ الثابتة. يعلنون حرّية العقل ضدّ السلطة الدينية واستقلال الانسان ضد استبداد الكنيسة والحكومة ثم يطلبون استقلال المدرسة الحرّة المجرّدة من تعليم ذوي الكهنوت. وهم لا يعرفون للعقائد البشريّة اساساً آخر الّا العلم. يعلنون الانسان حرًّا ويقرّرون ضرورة ملاشاة كل كنيسة رسميّة....»

ويشبه هذا القرار كفرًا وتهتُّكاً اعلان نائب المحفل الاكبر في برلين ما تعريب بعض فقراته:

«انّ ذوي الافكار الحرّة يقرّرون ويعلنون حرّية الضمير وحريّة البحث (اي انتقاد عقائد الدين) وعندهم انّ العلم هو الاساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون اذن كل عقيدة بُنيت على اساس الوحي ايًّا كان....»

وليس حكمُ الماسون في بلادنا عن المعتقدات الدينيّة مختلفاً عن حكم عشيرتهم في بقيّة اقطار المعمور اسمع «الشعلب» وما ادراك من «الشعلب» هو امين ريحاني الذي اتّخذ لنفسهِ هذا الاسم وما أطيب ذوقهُ في اختيار الالقاب لنفسهِ كالجردون والشعلب. قال الشعلب في كتاب المحالفة الثلاثيّة حيث يسخر بكل الاديان وقبل الكلّ بديانة نفسهِ (ولذلك حكم احد الاميركيين بان يُلقى كتابهُ في الجحيم. اطلب المشرق ص٤٧٨)

«لم تعلّموني الّا الخرافات والمزعبلات والارهام.. لو كان للربّ ثلاثة اقانيم لكان النزاع بينها (كذا) سائداً ابداً ولمّا تمكّن من تكوين هذا العالم (ص ٨٥)»... اني لا اعتقد بالاله الاناني الذي تصوّرتهُ لنا باوصاف وهميّة مبهمة لا تستطيع ان تدرك منزاها (ص٨٦)... لا اعتقد بالحكم. اني احتقر ربكم البشري (٩٠)... انّ الولادة تنفي البكارة اي انّ الامّ (يريد السيّدة ام الله) لا تكون قطّ عذراء (١٠٧)....

وقس عليهِ بقيّة تجاديف هذا الشعلب الوسخ وكان الاولى ان يخصّ بنفسهِ اسم «الحمار» الذي جعلهُ في كتابهِ اسماً لاحد مناظريهِ واراد بهِ الاكليروس الشرقيّ!

### ٣ الماسونيّة والاسرار

ان الديانة لا تقوم فقط بالمعتقدات فانّ السيّد وضع اسراراً سبعة يجد فيها المؤمن مدّة حياته ينبوع النعم التي تحيي نفسهُ وتقوّيها على تجارب الحياة وتزيدها كل يوم صلاحاً وبرّاً الى ان يفوز بالاكليل الذي وعدهُ الله لمن يعمل الصالحات ويجاهد في سبيله فيثيبهُ في ملكوته بالخلاص الابدي. فهذه الاسرار قد حاول الماسون قطع مياهها وافراغها كناية الجهد في ابطالها. فمن اقوالهم التي تفوّهوا بها في مجتمع الماسون سنة ١٨٩٥ ونشروها في نشرتهم الرسميّة (Bulletin du Gr. Orient ٥٥, 1895,p.310): «انّ الماسونية تعلن جهاراً انها تعتبر كلّ الفرائض الدينية كأعمال ضارّة بالانسان وبكمال البشريّة في عقلها وآدابها». وكان اولاد الارملة قبل ذلك بسنتين قرّروا في اجتماعاتهم ما تعريبهُ الحرفي (Bullet. du Gr. Or. ٥٥, 1893, 368-372) «لا يسوغ لاحد من الماسون ان يُرقّى الى شورى العشيرة الماسونية الّا بأن يعرض صكّاً ويمضيهُ باسمه مصرّحاً بأنهُ هو واولاده الصغار لا يشتركون مطلقاً بالفرائض الدينيّة»

وقد علم الماسون ما في الاسرار الكاثوليكية من القوّة لتوطيد الدين في القلوب وقوّة الايمان فسعوا بابطالها واذ هبط مستواهم اخذوا منذ سنين يتلذّذون الاسرار الكاثوليكية فوضعوا عماداً ماسونياً وزواجاً ماسونياً ودفناً ماسونياً وقد اكثروا المظاهرات والخطب «والزعبرات» لعلّهم يصدّون المؤمنين عن ممارسة اسرارهم الدينيّة فزيّنوا محافلهم واقاموا الاعياد المبهجة واوارا الولائم وكل ذلك رجاء منهم ان يصرفوا النظر عن اسرار الكنيسة المحيية. وقد اخذ الماسون يتحفوننا بمثل هذه «التلفيقات» في بلادنا ايضاً فان القطّم في عدده ٦٣٧١ في ٢ آذار المنصرم وصف لنا حفلة زفاف ماسوني عُقد في محفل النجاح وهنّأ بلادهُ على انّ الماسون صاروا يجاهرون بحفلاتهم ومع هذا استحى ان يصرّح باسم العروسين. وكنّا عزمنا على نقل هذا الفصل كلّهُ لولا طوله فقضّلنا ان نرسم هنا صورة العماد الماسوني والزواج الماسوني والدفن الماسوني وتلك الصور ادلّ على كل خزعبلاتهم

### ٤ الماسونية والكنيسة

كما انّ السيّد المسيح اوحى الى العالم بالحقائق الدينيّة والمعتقدات والاسرار الخلاصيّة

العماد الماسوني

( لا بالماء ولا بالروح القدس )

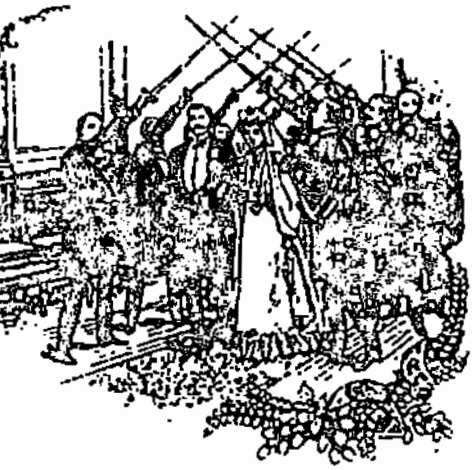

حفلة العرس

( في ظلّ السيوف رمزًا الى الخصام بين الزوجين والطلاق ال

الزوجان امام رئيس المحفل كاهن الماسونيّة !

الجنازة الماسونيّة (بلا تعزية ولا رجاء)

كذلك أقام لحفظها وللذبّ عن حياضها جمعيّة منظورة مركّبة من رأس منظور ورؤساء قانونيين واعضاء مرتبطين بوحدة الايمان ووحدة الاسرار ووحدة الطاعة وهم يسيرون الى وحدة الغاية اعني خلاص نفوسهم الابديّ . وهذه الجمعيّة قد قبلت من منشئها مواعيد الثبات الى منتهى الدهور رغماً عن كل قوّات الجحيم (متى ١٦ : ١٨) . على انّ الماسون لم يقنعوا بهذه المواعيد فانّهم حملوا حملةً واحدة على حجر الزاوية الذي تكلّم عنهُ الربّ (متى ٢١ : ٤٢ — ٤٤) وهم يؤملون تحطيمهُ ذاهبين عن قولهِ تعالى : « ومن سقط هو عليهِ يطحنهُ » . فمن الشواهد الناطقة بسوء مقاصدهم ما نقله السيّد مرتين الاميركي سنة ١٨٧٥ عن احد تقاريرهم السرّيّة فنشرهُ بالطبع :

« انّ الديانة الكاثوليكية هي أكمل وانقع قتيل لتصوّر الله الباطل (كذا) وانّ مجموع عقائدها هو انكار الألهة بالذات فالماسون يفرضون وجوب العمل على ابطال النصرانيّة بسرعة وعلى ملاشاتها واستئصالها بكل الوسائل حتى بالقوّة الجبريّة وبالثورة وانفقتن » كذا .

وقد كان الماسون اوّلاً اختاروا للدلالة على الكنيسة الكاثوليكية اسماً ملتبساً تلألا يدرك السذّج غايتهم فدعوها « الحزب الاكليريكي » لكنّهم اليوم اماطوا القناع ولم يُبقوا في الامر ابهاماً قال احد اعتهم (اطلب الكتاب المدعو La gran-de Ennemie, p. 35) : « انّنا كنّا سابقاً ندعو اعداءنا بالحزب الاكليريكي (le clérical isme) تحفّظاً ومراعاةً للرسميّات وانما غايتنا الصحيحة التي نجاهر بها في محافلنا انما هي محاربة الكثلكة لأنّ كليهما واحد ليس بينهما فرقٌ يُذكر »

وقال آخر مثلهُ (في الكتاب عينهِ) : « انّ الغاية التي نرمي اليها ان ننزع الدين النصراني من فرنسة بكل الوسائط الممكنة واخصّها بأن نضيّق على الكثلكة شيئاً فشيئاً الى ان نخنقها تماماً بما نسنّهُ ضدّها كل سنة من الشرائع حتى نقفل كل الكنائس . . . فالكثلكة والماسونية عدوّان لدودان لا تنتهي الحرب بينهما الّا بموت احدهما »

وقال زعيم الطريقة السكوتلنديّة ديمون (Desmons) الذي توفي في هذه السنة : « قد التحم القتال بيننا وبين الكنيسة فحيثما يقوم الرجل الاسود (اي الكاهن) فليظهر الرجل الحرّ (اي الماسوني) وحيثما ينصب ذاك صليبهُ فلينشر هذا لواءهُ »

(لهُ بقيّة)

# ألوهيّة الرجل الاسرائيلي

## ردّ على جريدة العرب للاب لويس شيخو اليسوعي

نشر حضرة مبعوث آيدين محمّد عبيد الله في جريدة العرب في تاريخ ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ فضلًا عنوانهُ « لكلّ أمّة مفسدون » كتب في جملتهِ ما نصُّهُ :

« اني ارى من الفضول مداخلة نصارى العرب فيما يدور من المباحث بين العرب والترك لأنَّ الترك اذا ذكروا العرب فلا يتصوَّرون غير المسلمين اذ هم لا يتمثَّلون وجود رجل عربي يقول بألوهيـة رجل اسرائيلي ولا يقول بنبوَّة رجل عربيّ قائل لهُ «انا بشر مثلكم» على حين انهُ يرى لذلك النبي العربي كتابًا معجزًا كالقرآن »

فكان مؤدَّى هذه الفقرة ان النصارى لا حقوق لهم في المباحث السياسيَّة الدائرة بين العرب والترك اذ لا تنال تلك الحقوق غير المسلمين ولن المسلمين عربًا كانوا او تركًا يعدُّون اعتقاد النصارى بلاهوت المسيح هذيانًا لا يخطر على فكر رجل عاقل

قلنا انَّ الكاتب بتسطيرهِ لهذه العبارة جنى جنايتين فاساء الى القوانين الدستوريَّة وجرح عواطف طائفة كبيرة من رعايا الدولة العثمانية . امَّا اساءتهُ الى الدستور فظاهرة اذ حاول ان يحصر الحقوق الدستوريَّة في احد عناصر الدولة دون سواه وذلك مبدأ ينافي توًّا جوهر الدستور الذي هو مبني على الحريَّة والاخاء والمساواة بين كل عناصر الدولة دون تمييز في مذاهب اصحابها . فكلُّهم عثمانيُّون ليس الَّا . ولا غرو انَّ قومًا من النصارى ردُّوا على مدَّعى كاتب جريدة العرب بل تصدَّى لقولهِ المسلمون انفسهم كاصحاب المؤيد وصاحب المنار والمفيد والاتحاد العثماني وفي ردودهم الكفاية اذ ليس من شأننا الخوض في السياسيَّات كما انَّنا لا نتعرَّض للكاتب في ما قالهُ عن نبي الاسلام وهو حرٌّ في معتقدهِ يدين باي دين شاء

امَّا مسُّ الكاتب بكرامة طائفة شريفة من طوائف الدولة فذلك في قولهِ « انَّ الترك لا يتمثَّلون وجود رجل عربي يقول بألوهية رجل اسرائيلي » وهو كلام فيهِ من التحقير ما يجتهُ ذوق رجل اديب ويعدُّهُ النصارى كاهانة لدينهم اذ حسبَ الكاتب من الامور المستحيلة ان يتصوَّر تركيٌّ رجلًا عربيًّا يقول بألوهيـة المسيح فكانهُ يدَّعي

انَّ مذهب النصارى بالوهيـة السيد المسيح ضربٌ من الجنون لا يمكن الاتراك ان يتصوَّروا رجلًا من العرب العقلاء يتمذهب به

فيا لله أإلى هذا الحدّ من الغرابة يبلغ دين النصرانية ؟ او يكون العرب في مقام هكذا رفيع من الدين حتى انَّ عربيَّتهم لا يمكنها ان تقوم مع الدين النصراني ؟ فالى هذين القولين يرجع قول صاحب « العرب » وكلاهما فاسد كما سترى

١ ليس في تعاليم النصرانيَّة شيء من الغرابة

كل يعلم ان الدين المسيحي قام خلفًا للدين الاسرائيليّ فاخذ النصارى كل ما اوحى به الله الى انبياء بني اسرائيل وحفظتهُ الاسفار المقدَّسة التي هي في ايدي اليهود وايدي المسيحيين على حد سواء . ومما تحتويه هذه الكتب المنزلـة توحيد الله والوعد بمجيء المسيح . وفي كليهما ايضًا يتَّفق النصارى واليهود . ومن ثم ليس التوحيد خاصًّا بالعرب وقد عرفهُ اليهود قبلهم بالفين وخمسمائة سنة وورثهُ عنهم النصارى فقالوا به ولا يزالون يثبتونهُ بالبرهان عقلًا ونقلًا . فالى هنا ليس شيء من الغرابة في الدين النصراني كما ترى

قلنا انَّ اسفار اليهود تتضمَّن ايضًا ما خلا التوحيـد الوعد بمجيء المسيح الَّا انَّ اليهود يخالفون النصارى في وقت مجيئهِ فينكرون انهُ اتى حتى الآن على عكس النصارى الذين يدافعون عن ذلك ويثبتونهُ بالادلَّة المتعدّدة التي سبقت عهـد المسيح ورافقتهُ وتبعتهُ . والمسلمون يوافقوننا في حقيقة الامر فيقبلون بمجيء المسيح ويزيّفون معنا رأي اليهود

فان كان المسيح قد أتى وهو موعود الامم وقد اصطنع العجائب التي يقرُّ بهـا المسلمون فضلًا عن النصارى وثبت كونهُ رسولًا من الله لا يبقى الَّا ان تُقبَل تعاليمهُ كتعاليم الله الذي ارسلهُ ولا يجوز للانسان ان يتردَّد في صحَّتها اذا ما تحقَّق انها لهُ . والحال انَّ النصارى قد اخذوا عن الحواريين وتبعتهم تلك التعاليم بعد المسيح بسنين قليلة فتراها مدوَّنةً في الانجيل الطاهر الذي دعاهُ القرآن ( سورة المائدة ) « هدًى ونورًا ومصدقًا لما بين يديهِ ( اي المسيح ) من التوراة وموعظة للمتقين » وليس احد ينكر انَّ الانجيل الطاهر يصرّح بالوهية المسيح وبتثليث الاقانيم في التوحيد ولا نظنّ ان حضرة المكاتب ينكر علينا ذلك

ولعلَّهُ يقول انَّ انجيلنا محرَّف فليتفضَّل جنابهُ ويبيّن التحريف مـا هو ومتى وقع وعلى يد من كان . فان قال تحرَّف قبل الاسلام سألناهُ كيف امكن القرآن ان يجملهُ بعد التحريف « نورًا وهدًى » ؟ وان قال بعد الاسلام احلناهُ الى النسخ المخطوطة من الانجيل الباقية الى يومنا وعهدها راقٍ الى ٣٠٠ سنة قبل الهجرة وهي منقولة الى عدَّة لغات ولا تجدها تختلف عن الانجيل الذي يتداولهُ النصارى في عهدنا ( راجع مقالتنا في الاناجيل القانونيَّة والاناجيل الزور في المشرق ١١ : ١٩٤ — ٢١١ )

ولا يقولنَّ الكاتب انَّ الوهيَّة المسيح وتثليث الاقانيم ينفيـان التوحيد كلَّا فان السيِّد المسيح قد صرَّح بانَّ وحدانية الله في طبيعتـهِ وجوهرهِ وكمالاتهِ تقوم بتثليث الاقانيم وان كنا لا ندرك هذا السرَّ بتمامهِ لعظمتهِ ولا عجب ونحن لا ندرك امورًا كثيرة من اسرار الطبيعة القريبة منَّا . امَّا الوهية المسيح فنستطيع ان نثبتها من القرآن نفسهِ حيث يقول في سورة النساء : ( انَّ المسيح كلمة الله . . وروح منهُ ) فان سألنا ائمَّة الاسلام عن تعريف كلمة الله وروحهِ اجابنا الشيخ سعد الدين التفتازاني : كلمـة الله كلامهُ وهو قديم قائم بذاتهِ » واجابنا الامام الغزَّالي : « كلمة الله ازلي قائم بذاتهِ »

فان كان المسيح كلمة الله وكانت كلمة الله شيئًا ازليًّا قديمًا قائمًا بذاتهِ نتج عنهُ ضرورةً انَّ المسيح هو اله متأنس اذ ليس شيءٌ ازلي قديم قائم بذاتهِ غير الله

ومثل هذا قولهم في روح الله فانَّ صاحب كتاب الانسان الكامل يحدّ روح الله « الروح الالهي هو . . . روح الارواح المنزَّه عن الدخول تحت كلمة كن يعني انهُ غير مخارق لانهُ وجه خاصّ من وجوه الحق قام بهِ الوجود » . افيوجد شيءٌ غير مخارق منزَّه من الدخول تحت كلمة كن وهو احد الوجوه التي يقوم بها الحق غير الله ؟ . فالمسيح اذن هو الله . فما ابعد هذه الاقوال عن زعم الكاتب بانَّ تركيًّا لا يعقل وجود عربي يقول بألوهية المسيح

٣ ان العربية لا تمنع العرب عن القول بألوهية المسيح

رأيت في الباب السـابق انَّ الدين النصراني ليس هو من الغرابة على شيءٍ وان الاسرار التي يعلّمها ليست هي اختراعًا منهُ بل اخذها من الوحي الالهي فان ثبت ذلك افيحطّ اعتقاد هذه الاسرار من شأن العرب ان امنوا بهـا . كلَّا ثم كلَّا اذ انَّ البشر

مهما كان مقامهم من العظمة لا يتذللون بقبول الوحي بل على عكس ذلك يتشرفون باعتقاده. ولا يستثنى العرب من هذا الحكم. وفي حقيقة الواقع نرى قبل الاسلام في بلاد العرب قبائل متعددة من العرب العرباء دانت بالنصرانية بل كان نصارى في نفس قريش وعمّت النصرانية دولًا تامة كغسّان وملوك الحيرة وملوك كندة وبعض حمير ولنا في ذلك فصل مطوّل ننشره قريبًا ان شاء الله. وبقيت النصرانية في بعض جهات العرب كتغلب وطي حتى بعد الاسلام هذا فضلًا عمّن تنصّر من المسلمين غير مرغومين منهم احد سلاطين مرّاكش الذي توفي في رهبانيّتنا اليسوعية. فترى انّ محمّدًا عبد الله ألقى الكلام على عواهنه ولم يتروَّ في ما كتب في حقّ النصرانية اكثر ممّا تروّى في كتابته في حق الدستوريّة. وما كان اغناءُه عن هذا الكلام الذي جاء منزّقًا للقلوب ومهينًا للنصرانية ونحن في اشدّ الحاجة الى ضم القوى لتزيد اتحادًا وترقيًا

## مطبوعات شرقية جديدة

An Arabic History of Gujarat by 'ABDALLAH MUHAMMAD BIN 'OMAR AL-MAKKI al-Asafi, Ulughkhani. ed. by E. Denison Ross Ph. D. Vol. I. *London. J. Murray.* 1910, XV-390

القسم الاوّل من تاريخ كجرات لعبد الله محمد بن عمر المكيّ الاصفي ألُغخاني

ان حكومة الهند الانكليزيّة ساعية في نشر الآثار الشرقيّة التي تفيد تاريخ الاقطار الهنديّة الراسمة او بعض جهاتها. ومما عُنيت بنشره على نفقتها آخرًا تاريخ لبلاد كجرات يُدعى ظفر الواله بمُظفّر وآله وضعهُ احد أدباء القرن العاشر للهجرة المدعو عبد الله ألُغخاني وقد قسمهُ قسمين سمّاهما دفترَين ففي الدفتر الاوّل دوّن تاريخ سلاطين كجرات الذين ملكوا عليها من السنة ٧٩٩ الى سنة ٩٨٠ (١٣٩٦ — ١٥٧٢) وفي الثاني وصف بقيّة الدول الاسلاميّة في الهند منذ القرن الثاني عشر الميلاد الى السادس عشر. وهو تاريخ فريد لا يوجد منهُ الّا نسخة واحدة بخط مؤلفه ولعلّ الطالع قد سقط من اوّلها بعض الصحائف. وهذه النسخة وجدها في مدرسة كلكوتا الوطنيّة جناب المستشرق دنيسون روس فنشرها بغاية ما امكنهُ من الضبط. وهذا القسم يتناول

الدفتر الاوّل فقط وسيليه الدفتر الثاني وفي نيّة جناب الطابع ان ينقل الدفترين الى الانكليزيّة ويضيف اليها الحواشي والفهارس فنهنّئ كل من عُني بهذا العمل لوفرة فوائده ولقلّة ما لدينا من اشباهه في العربيّة ل.ش

INCUNABULA, XYLOGRAPHICA ET TYPOGRAPHICA 1455-1500

Lagercatalog. 586 - Joseph Baer und C°, Frankfurt A. M. Hachstrasse, 6

اقدم الآثار المطبعيّة من السنة ١٤٥٥—١٥٠٠

أتحفنا محلّ الكتبي الالماني الشهير يوسف باير بنسخة من اقدم الآثار المطبعيّة التي نُشرت بعد اكتشاف فنّ الطبع في المانية وايطالية وبقيّة البلاد الاوربيّة بين السنتين ١٤٥٥ و ١٥٠٠ وهذا المجموع الفريد مجلّد واسع يزيف على ٣٠٠ صفحة وضمّنهُ جناب الكتبي وصف نحو ٧٠٠ كتاب من الكُتب التي طبعت آنائذٍ في كل فنّ من الفنون العلميّة وقد غلب عليها المواضيع الدينيّة لأن الدين كما هو معلوم يتقدّم على بقيّة المعارف في حياة كل الشعوب . وكثير من هذه الكتب قد طُبع طبعاً متقناً لا يكاد يسبقهُ في حسنهِ اليوم اهل المطابع فكان ورقهم من اجود الورق وحروفهم من ابدع الحروف. وقد رسم صاحب الكتاب بعض صفحات من تلك التآليف كأمثلة فتراها آخذةً بالعيون لحُسن صورها. وترى كثيرًا من هذه التآليف مزيّنة بالتصاوير المرسومة على الخشب حفرًا بيد حافرين بارعين كانوا يقضون حياتهم بنقش تلك الرسوم فاراد ايضًا جناب الطابع ان ينقل منها شيئًا في مجموعهِ واذا هي طُرَف جميلة تنبئ بحذق اهلها. وهذه الكتب عزيزة الوجود يبلغ ثمن البعض منها لندرتها الى عشرين الف فرنك وازيد. وصاحب هذا المجموع هو مستعدّ لبيعها لأنها خاصّتهُ وقد نشر كتابهُ لتعريف خواصها الفريدة ل.ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES. VOL. XII.—Introduction à l'Histoire des Mongols de Fadlallah Rashid ed-Din par E. Blochet, *Leyden, E. J. Brill*

مقدّمة تاريخ المغول لفضل الله رشيد الدين

ليس بين التواريخ الفارسيّة تاريخ اوسع واشهر من التاريخ الذي ألّفهُ الوزير

رشيد الدين فضل الله وزير السلطان غازان الذي مات قتلاً سنة ٧١٨ ( ١٣١٨ م ) أنَّفهُ بامر مولاهُ وضمَّنهُ تاريخ العالم منذ انشائهِ الى أيَّامهِ وقد اتَّسع خصوصاً في تواريخ قبائل الترك واجيال المغول ودولهم في حدود الصين وختاي والهند وكشمير وخوارزم بحيث أضحى تاريخهُ كوردٍ يستقي منهُ كل الكتبة الذين اتوا من بعدهِ . وكان قوم من المستشرقين قصدوا نشر ما صبر من هذا المجموع الكبير على آفات الدهر لاسيما الفرنسوي نابغة عصرهِ دي كاترمير ( Et. de Quatremère ) الذي نشر قسماً منهُ وقدَّم عليهِ مقدَّمات تُعدُّ كتحفة من تحف العلم الغرَّاء . وقد عادت اللجنة المنسوبة الى جون ولكنسون جبّ فعوَّلت على نشر هذا التاريخ بتمامهِ في ثلاثة مجلَّدات والكتاب الذي نحن الآن في صددهِ كمقدَّمة لذلك الأثر الجليل تولَّى تأليفهُ احد علماء باريس المسيو باوشه من نظَّار خزانة كتب باريس الشرقيَّة فبحث فيهِ عن كل ما لهُ علاقة بتاريخ رشيد الدين فعرَّف المؤلف ووصف احوالهُ وترجمتهُ وزاد عدَّة معلومات على ما سبقه اليهِ دي كاترمير ثم استطرد الى بيان تأليفهِ مجموع التواريخ والاصول التي رجع اليها وما لهُ من الفضل في سياقهِ وما نقلهُ من غيرهِ من الكتبة وكيف انهُ كشف القناع عن عدَّة معمَّيات منوطة بتواريخ المغول ودولهم وسلالاتهم . ثم ألحق الكتاب بفهارس غاية في الضبط فجاءت هذه المقدَّمة احسن دليل على انَّ العلوم الشرقية لا تزال في فرنسة معزَّزة رفيعة الشأن فنهنئ جناب المؤلف الذي عرفناهُ كاحد انصار الآداب ذا عزيمة لا يدركها الفشل ونتمنَّى ان يتحفنا قريباً باصل جامع التواريخ وينجزهُ في اقسامهِ الثلاثة فيكسب شكر كل محبي الشرقيات

ل . ش

CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM ORIENTALIUM. SCRIPTORES ARABICI-TEXTUS — I. Eutychii Patriarchæ Alexandrini Annales. Pars posterior; accedunt Annales Yahia Ibn Said Antiochensis. Conjuncta opera ediderunt *L. Cheikho, B. Carra de Vaux, H. Zayyat* — II. SYNAXARIUM ALEXANDRINUM. T. I. fasc. III ed. *I. Forget*, — III SEVERUS BEN EL MOQAFFA'. T. I, fasc. II. Beryti e Typographeo Catholico, 1909-1910

تاريخ ابن بطريق ويحيى بن سعيد الانطاكي — السنكسار الاسكندري — تاريخ ابن المقفَّع

مرَّ لنا في السنين السابقة ذكر المطبوعات النصرانيَّة الشرقيَّة التي اتَّفق على نشرها بعض علماء اوربَّة تحت نظارة الخوري شابو . وهذه المطبوعات تشمل عدَّة لغات كالقبطيَّة

والحبشية والسريانية. والقسم العربي منها تُعنى بنشره مطبعتنا الكاثوليكية. فما نجز طبعهُ في هذه المدّة الاخيرة الكتب الآتية. اولها تتمّة تاريخ سعيد بن بطريق من الهجرة الى زمن المؤلف في القرن العاشر وذلك نقلًا عن نسخة مخطوطة في مكتبتنا الشرقية مع مراجعة روايات عدّة نسخ أخرى في باريس. وقد الحق البارون كارا دي ڤو بهذا التاريخ مُلحقًا ليحيى بن سعيد الانطاكي يتضمّن اخبار القرن العاشر من السنة ٩٣٨ للمسيح حيث انتهى ابن بطريق الى السنة ١٠٢٧. وهذا الملحق لم يُنشر منهُ قبلًا سوى قسم صغير بهمّة البارون فون روزن (Bon von Rosen) المستشرق الروسي الشهير. وقد أُضيف اليهِ في ذيلهِ وفي اخرهِ روايات عن عدّة نسخ مخطوطة منها نسخة للاديب حبيب افندي الزيّات ونسخة وجدناها في مدرسة الثلاثة الاقمار في البلدة فتاطّف اصحابها وسمحوا لنا بنسخها. وهذا التاريخ من الآثار الجليلة يحتوي افادات جمّة عن النصرانية في ايّام الدولة الفاطميّة — والكتاب الثاني الذي نجز طبعهُ مؤخّرًا هو الربع الثالث من السنكسار الاسكندري الحاوي لذكر القديسين في الشهور القبطيّة الآتية اي تتمّة هتور ثم كيهك ثم طوبه الى اوائل امشير (اطلب المشرق ٨: ٩١٢). فلا يبقى لنهاية العمل سوى ربع واحد. وقد قام بنشر هذا الاثر حضرة الخوري فورجه البلجكي نزيل كليّتنا سابقًا وذيّلهُ ببعض الروايات والملحوظات — اما الكتاب الثالث فهو تاريخ بطاركة الاسكندريّة لساويروس بن المقفّع الذي كان نشر منهُ قسمهُ الاوّل جناب المستشرق الالماني سَيْبُلد سنة ١٩٠٤ (المشرق ٧: ٧٣٢) ثم انقطع عن العمل الى هذه السنة فنشر منهُ قسمًا ثانيًا يتناول تراجم ثلاثة عشر بطريركًا من اخاتو خلف بنيامين في سنة ٦٧٣ للميلاد الى يوساب المتوفّى سنة ٨١١. وهذه الطبعة باقية على اصلها مع لهجتها العاميّة واتمّ ذيلها الدكتور سَيْبُلد ببعض الروايات نقلًا عن مخطوطات شتّى

ل. ش

## الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي. الجزء الثاني من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٠ (ص ٣١٠)

عرف قرّاء المشرق هذا الكتاب ومحتواهُ وقد اخذنا نشرهُ تباعًا في مجلّتنا منذ

ثلاث سنوات فلم تزل نواصل تأليفهُ حتى انجزنا آخرًا الجزء الثاني منهُ فأربى مجموع الجزءين على ٣٤٠ صفحة. ومع سعة هذا الكتاب وكثرة ما امكننا جمعهُ من تاريخ أدباء القرن المنصرم نحن مقرّون بما فيهِ من النقص اذ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب في بعض جهات الشرق العربي لاسيما البعيدة منّا بل والقريبة ايضاً لقلّة ما دُوّن فيها ولصعوبة الاتصال الى ما بقي منها مشتّتاً في خزائن الخاصّة. فأملنا من لطف القرّاء ان يغضُّوا النظر عن هذه الشوائب ويفيدونا بما لديهم من المعلومات لعلّنا نجدّد قريباً طبع هذا الكتاب فنصحّحهُ ونزيدهُ تحسيناً فيكون كدستور يُرجَع اليهِ ويوثق بهِ في معرفة الآداب في القرن السابق حيث نشأت تلك النهضة العجيبة التي نستمدُّ اليوم من فضلها ونستقي من مواردها الطيّبة ل. ش

## دروس التاريخ الاسلامي

### تأليف الاديب محيي الدين افندي الخيّاط

القسم الاوّل يشتمل على مجمل تاريخ صاحب الشريعة الاسلاميّة

طُبع في بيروت بنفقة والتزام المطبعة المصريّة سنة ١٣٢٨ (ص ٦٢)

اهدتنا المكتبة الاهليّة العامرة هذا الكتاب الذي وضعهُ الكاتب الشهير محيي الدين افندي الخيّاط لافادة المدارس الاسلامية. وهو كمقدّمة دروس اخرى للتاريخ الاسلامي يُلحقها بهِ قريباً. وقد راجعنا الكتاب فوجدناه مزدانًا بصفات الكتب المدرسية من حسن تنسيق واختصار وايضاح افتتحهُ المؤلف بنبذة تمهيديّة في التاريخ وقع فيها بعض اغلاط لا بُدَّ من اصلاحها في طبعة ثانية كقول جنابهِ (ص ٦) انَّ البعض قالوا «انَّ البشر وُجدوا قبل الهجرة المحمّديّة باربعمئة الاف سنة» والصواب «قبل ميلاد السيّد المسيح». وكان الاولى ان يضرب جنابهُ صفحًا عن قول القائلين دون ادنى سند علميّ (ص ٦) بانَّ البشر وجدوا قبل الهجرة «بملايين من السنين» فهذه اوهام وترهّات لا يجوز ان تُذكر في كتاب تعليم. وكذلك لم يقل مؤرخو الفرنج (ص ٦) بانَّ الصينيين والمصريين «وجدوا على سطح الارض منذ ستّة آلاف سنة تقريباً» بل يقولون انَّ تاريخهم يقتضي مدّة نحو عشرة الاف سنة قبل المسيح وهذا ممّا يمكن التسليم بهِ. ولنا على بقية الكتاب ملحوظات أخرى يطول بنا ايرادها. وممّا لا نسلّم بهِ قول المؤرخ بانَّ

الامم (ولم يستثنِ النصرانية) كانت في حاجة الى الدين الاسلامي (ص ١٢ و١٣) ويؤخذ من القرآن ان محمدًا أُرسل الى ذويهِ فكلّمهم بلسانهم ل.ش

## الرسائل المصريَّة

### تأليف الخوري بطرس البستاني

طُبع في المطبعة الشرقية ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٣٦٢)

كانت مجاميع المكاتب التي تُنشر قبل عشرين سنة لافادة احداث المدارس مزوَّقة الكلام كثيرة تكلُّف الالفاظ والاسجاع زهيدة المعنى قليلة الجدوى لا تكاد توافق الذوق السليم والآداب العصريَّة حتى قام بعض ادباء الشام لاسيما النصارى فعدلوا عن تلك الطريقة وأنشأوا كتبًا تفنَّنوا في اختيار مواضيعها وحسن سبكها دون تصنُّع ولا تعمُّل فراجت سوقها وتعقَّب غيرهم آثارها. ومما وُضع آخرًا من هذا القبيل الرسائل العصريَّة لحضرة الخوري بطرس البستاني من اساتذة العربية في كليتنا فانه اتَّسع في المواد اتِّساعًا عجيبًا ووضع في كل ابواب الكتابة التي يحتاج اليها الاحداث في اطوار حياتهم رسائل متعدِّدة جمعت بين سهولة الانشاء وانسجام الكلام وبلاغة المعاني جاريًا على وجوب الافادات التي صدَّر بها كتابه حيث وضع عشرين فصلًا في آداب الكتابات. فنحن على يقين بأن كل من يطلع على هذا الاثر الجليل من ارباب المدارس يسرع الى اتخاذهِ كدستور لتعليم فن المراسلات. هذا ونشير الى حضرة المؤلف ان يُلحق في طبعة ثانية كل باب من المكتابات ببعض المواضيع يترك انشاءها للطلبة ليتمرَّنوا بترسيمها ل.ش

QUESTIONS HISTORIQUES. Le Schisme de Photius par J. Ruinaut, *Paris, Bloud et C^ie, pp.* 61

انفصال فوطيوس عن الكنيسة الرومانية

هذا الكتاب داخل في مجموع الابحاث التاريخيَّة التي تولَّت نشرها احدى الجمعيَّات الفرنسويَّة وليس في الحقيقة بحث اعظم خطرًا من هذا في القرن التاسع للميلاد اذ تمَّ انفصال بوزنطية عن رومية. على انَّ ذلك الحادث العظيم لم يجرِ على بغتة فانَّ

اساقفة بوزنطية مذ يوم رأوا ملوك الروم اتخذوا القسطنطينية كدار السلطنة وجّهوا نظرهم الى الاستقلال عن رومية ايضاً في الروحيّات مستندين الى مبدإ سياسي مضادّ لتعليم الانجيل وتقليد الاباء فلم يزالوا (الّا البعض منهم ممّن عُرفوا بقداسة سيرتهم) يغلبون ذلك المبدأ خطوةً خطوةً حتى جعلوا بوزنطية كرسيًا مستقلًا عن حكم رئيس اساقفة سالونيك ثم خرّلوهُ دون رضا الاحبار الاعظمين امتيازات البطريركيّات ثم رفعوهُ فوق رتبة بطريركي الاسكندريّة وانطاكية الرسوليّين فلم يبقَ في طريقهم شيءٌ يحول دون مطامعهم في الرئاسة غير الحبر الروماني فقطعوا اخيرًا تلك الرابطة التي كانوا يرونها مذلّة لنفوذهم وسيطرتهم على كنائس الشرق واحتجّوا للدفاع عن عملهم بحجج لا طائل تحتها ليستروا بها نقض طاعتهم. فصاحب هذا الكتاب المسيو رويدو قد بيّن ذلك في هذا التأليف فبحث عن اصول الانشقاق واسبابهِ قبل عهد فوطيوس متتبعاً تاريخ بوزنطية بنظر عام قدّمهُ على كتابهِ. ثم انتقل الى تاريخ فوطيوس وفصّل اطوار حياتهِ واثبت ما كان لهُ من الصفات والعلم الواسع وكيف شوّه تلك المحاسن بحبّهِ المفرط للرئاسة فسعى طاقة جهدهِ في معاكسة القديس اغناطيوس صاحب الكرسي القسطنطيني ودسّ لهُ الدسائس حتى نفاهُ وجلس بدلًا منهُ على الكرسي القسطنطيني. ولمّا عرف بذلك البابا نيقولا الاوّل حكم لاغناطيوس ضدّ فوطيوس الذي شقّ العصا وجاهر بخلع الطاعة لرومية وبلغت في ذلك جسارته الى ان عقد مجمعًا من الاساقفة اتباعهِ وحرم فيهِ البابا. لكنّ الاحوال تغيّرت بعد مدّة بقتل الملك ميخائيل المعروف بالسكّير نصير فوطيوس وولاية باسيل المقدوني فاجتمع مجمع قانوني عُزل فيهِ فوطيوس وأُعيد اغناطيوس الى كرسيهِ الّا انّ موت اغناطيوس فتح بابًا جديدًا لمطامع الدخيل واجتهد بترضية البابا يوحنّا الثامن فرعدهُ الرواعد الباطلة وكانت وفاة فوطيوس سنة ٨٩٦ على انّ الكرسي القسطنطيني بعد وفاتهِ عاد الى طاعتهِ لامام الاحبار وبقي الامر على ذلك دهرًا الى عهد البطريرك ميخائيل كرولاريوس الذي قطع نهائيًا العلاقات مع رومية. هذا ما احتواهُ الكتاب الذي نحن بصددهِ ولولا ما اخذهُ الكاتب على نفسهِ من الاختصار لرأيناهُ مخلًا في ايضاح عدّة مسائل لم يثبتها بالاسانيد الكافية وقد اوضحها غيرهُ من المؤرّخين الموثوق بهم المتزّهين عن كل غرض في الكتابة كالالماني فوغت (Vogt) والكردينال هرغنروتر (Hergenrother) الاب ب. كانتاكيس

# والبرهيمة

رواية تمثيلية تاريخية مثرية بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

بيروت في المطبعة الكاثوليكية

لا حاجة الى وصف هذه الرواية ومحاسنها بعد أن تنكّه قرّاء المشرق بمراجعة فصولها في اعداد المجلة منذ اوّل هذه السنة. وغاية ما نقول — ولا نخاف في قولنا لومة لائم — انّ هذه الرواية هي الى اليوم الرواية العربيّة الوحيدة المبنيّة على التاريخ الشرقي الصحيح مع مراعاة اصول فن الروايات. ولا عجب بعد ذلك مما نالتهُ من الاستحسان كلّ مرّة مثلها تلامذة مدارسنا في بيروت ومصر والاسكندريّة وهـا قد جُمعت في كتاب مستقلّ مطبوع بغلاف جميل النقش زاهي الالوان فيستطيع كل من أحبّ ان يسرّح في محاسنها الانظار ويستفيد من معانيها والفاظها

ل. ش

## صناعة الانشاء في التأبين والرثاء

لحضرة الخوري يوسف العشيّي

طُبع في المطبعة السليميّة (عشيت) سنة ١٩١٠

صاحب هذا الكتاب من الوعّاظ الذين يُسرّ الناس باستماعهم لبلاغة كلامهم وفصاحة عبارتهم. وله في ذلك عدّة خطب ألقاها في احوال مختلفة وفي نيّته ان ينشرها بالطبع لافادة الجمهور وها هوذا قد اختار منها عشر خطب في التأبين والرثاء فطبعها في مطبعة عشيت واضاف اليها عظةً في المحبة. وقد تصفّحنا هذه الخطب فوجدناها اعمالَ رجل ضليع بالخطابة مُتفنّن في ضروب الكلام محسن لصناعة الانشاء يستخلص من احوال الموتى تعاليم للاحياء يستعدّون بها للاقاة ربّهم. ولولا شيءٌ من التصنّع في هذه الخطب وبعض المبالغة في مدح المؤبّنين لقلنا انّها اجود مثال لمن يريد ان ينسج على منوالها

ل. ش

## هدايا أُرسلت الى ادارة المشرق

١) برنامجات سنويَّة عن السنة ١٩١٠ : ١ً لشركة مار منصور دي بول في بيروت (ص ٢٥) = ٢ً لاخوية الانفس المطهرية (ص ٤٠) = ٣ً لجمعيَّة مار افرام السرياني (ص ١٦) = ٤ً لجمعيَّة كنز الرحمة الكلدانيَّة (ص ٩) = ٥ً للجمعيَّة الخيرية الارثوذكسية (ص ٢٢).

٢) قوانين جمعيَّات : ١ً اتحاد عثماني قلبي نظامنامهٔ اساسي سنة ١٣٢٦ . وهو قانون نادي الاتحاد العثماني بالتركيَّة والعربية (ص ١٧) = ٢ً قوانين جمعيـة شبان مار لويس غونزاغا التابعة لاخويَّة الامّ المزينة (ص ٨) = ٣ً قانون جمعية الاتحاد العثماني في القاهرة (ص ١٩)

٣) رسالة رمانيَّة في نهج الطريقة المسيحيَّة وهو منشور سيادة المطران انطون عريضه رئيس اساقفة طرابلس الشام لصوم سنة ١٩١٠ الذي حاول الماسون الناءهُ فحبط مساعيهم (ص ٣١)

٤) رسالة من الزائرين الرسوليين الى عموم الرهبانيَّات الثلاث المارونية البلديّة والحلبيّة والانطونيّة (ص ٤٥)

٥) المدارس اللادينية . نظر تاريخي اجتماعي بقلم ر. السوريّ (ص ١٦)

٦) بيان وظهور العلّة في جسم مجلس الملّة الماروني (ص ٢٢)

٧) آلآت فلسفيَّة لبعض تلامذة مدرسة القديس بطرس في بكنتا (ص ١٥)

٨) المسئلة اللبنانيَّة : نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول مع مقدّمة وحواشي بقلم يوسف افندي السودا La Question Libanaise : *Règlement organique et Protocoles* طبع في مصر (ص ٤٠ + ٣٠)

٩) زبدة الاراء في الشعر والشعراء جُمعت بقلم حليم ابراهيم دمُّوس . طبعت في منتريـال كندا (ص ١٩)

١٠) الحاجيَّات والكماليَّات وفي اي منهما نحن الان . خطبة للدكتور كامل سليمان الحاوري عيسى (ص ٢٢)

١١) صرف النبات طباني محرري ع . عرفان بر جوق تجربه وتتبع اوزريته مرتب اولوب برآي ظرفده قراءتي تعليم ايدر — درسعادت ١٣٢٥ — ١٣٢٨ (ص ٧١)

## شذرات

**معموديَّة الهراطقة** نشرت مجلَّة المشرق مقالات دينيَّـة اثبتت فيهـا ان المعموديَّة لا تكتسب شيئاً من ايمان خادم السرّ وبرارته ولا تخسر لكفره وخطيئته (المشرق ٩ : ١٦١ و ٢٠٤) وبيَّنت ان المجامع لم تحكم بنكران المعموديَّة المعطاة من المبتدع اذا حفظ النيَّة والمادَّة والصورة المفروضة (المشرق ١٣ : ٨٩) فكان

من ثمَّ اللاتيني والماروني والقبطي الخ نصارى حقيقةً كالارثوذكسي معتقدين بمعموديَّة المسيح لا كفَرة ولا وثنيّين واذا ارتدَّ الهرطوقي الى حضن الكنيسة الحقيقيَّة تائباً قُبل كاخٍ ضلَّ فعاد عن ضلاله او كالابن الشاطر لا كالغريب ولا كعابد الاوثان . فكتبت مجلَّة الكلمة الاميركيَّة مقالة غريبة المنهج ختمتها بما ننقلهُ بالحرف الواحد (ص ١٥٣) :

(الخلاصة) « ان كنيستنا الفريدة الرأي الارثوذكسيَّة المشهورة بمحافظتها الشديدة على تسليم الرسل القديم وتعليم الآباء والمجامع المسكونية القويم كانت ولا تزال تجري في مسألة عماد الهراطقة والمشاقين بحرى المدبّر الروحي الحكيم . ففي الاماكن والبلاد التي تأمن فيها شرَّهم وتؤمل امكانيَّة استمالة كثيرين منهم الى الارثوذكسيَّة تجري على خطَّة التساهل والتدبير الكنائي فتقبل معموديَّة اولئك منهم الذين يتمموها قانونيًّا باسم الاب والابن والروح القدس كما تفعل الآن الكنيسة الارثوذكسيَّة الروسيَّة مع اللاتين وبعض الجماعات البروتستانتيَّة في بلادها حيث اتحادهم بالكنيسة الارثوذكسيَّة . اما في الاماكن والبلاد التي تخشى فيها وقاحتهم وشرورهم وتحرّشاتهم بها ولا امل لها بامكانيَّة استمالتهم الى الارثوذكسيَّة فتجري على خطَّة الدقَّة والصرامة معهم فلا تقبل معموديتهم كما هو الجاري الآن في جميع البطريركيَّات الارثوذكسيَّة اليونانيَّة »

(نقول) قد اخذنا العجب والاسف كل مأخذ وما كنَّا لنصدّق مثل هذا الكلام لولا صراحتهُ . فهل يرضى الكاتب الجليل بهذا المبدأ الذي يجعل سرَّ المعموديَّة المقدَّس — وهو باب الاسرار المسيحيَّة واساسها — عرضة لتقلبات الزمان والمكان تكون صحَّة السرّ او عدمها امورًا لاحقة بالتساهل هنا والصرامة هناك ؟ افتكون المعموديَّة حقيقيَّةً في الكنيسة الروسيَّة الارثوذكسيَّة وغير حقيقيَّة في الكنيسة الانطاكيَّة الارثوذكسيَّة وبالتالي يكون زيد مثلاً مسيحياً في موسكو ووثنياً في سورية . وهَبْ انهُ سافر من هذه البلاد — حيث كان بحسب غير مسيحي — فاستنار بنور الحق ودخل في الكنيسة الروسيَّة الارثوذكسيَّة ثم رُسم كاهنًا او اسقفًا بدون ان يُجدّد عمادهُ ثم عاد الى الاوطان . ايعود الى ما كان عليهِ قبل العماد فينكر أنَّهُ اسقف وكاهن ومسيحي . لا لعمر الحق انَّ هذا اتزولُ نجلّ سيادة صاحب الكلمة عن الرضى بهِ مهما كرَّر علينا التصريح ا . ر

السكك الحديديَّة في العالم — افادت المجلَّة الالمانية Archiv ) ( fur Eisenbahnwesen التي تبحث عن كل امور السكك الحديديَّة انَّ طول هذه السكك الحديديَّة بلغ في آخر سنة ١٩٠٩ تيفًا ومليون كيلومتر بزيادة نحو ٢٥,٠٠٠ على العام السابق وكان طول هذه السكك في آخر سنة ١٩٠٨ ٩٨٣,٨٦٨ كيلومترًا . واميركة الشمالية لها السبق على كلّ الدول في ذلك فانَّ طول سككها اذا

حسبت الولايات المتحدة وكندا يبلغ نحو ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر اعني اكثر من ثلث مجموع السكك في العالم كلهِ واذا اضفتَ اليها سكك اواسط اميركة وجنوبيها انافت سككها على نصف سكك العالم. ومجموع السكك الحديديَّة في اوربَّة لا ينيف على ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر منها ٦٠,٠٠٠ لالمانية ومثلها بالتقريب لروسيَّا. ثمَّ فرنسة ٥٠,٠٠٠ ثم النمسة ٤٣,٠٠٠ ثم بريطانية العظمى ٣٨,٠٠٠. ومجموع السكك الحديديَّة في آسيا كلها لا يزيد عن ٩٥,٠٠٠ كيلومتر وفي افريقية ٣١,٠٠٠ وفي استراليا ٢٩,٠٠٠

البنّ في البرازيل — انَّ مجموع ما يُجنى سنويًّا في العالم من البنّ ما كان يتجاوز قبل سنة ١٨٧٥ ٧,٠٠٠,٠٠٠ كيس ووزن الكيس ٦٠ كيلو. اما اليوم فكاد يبلغ ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ كيس فالبرازيل لهُ من هذا المحصول السهم المعلَّى فانَّ تلك البلاد تغلّ وحدها خمسة اسداس المجموع لانَّ مجتنى البن بلغ في البرازيل في السنة ١٩٠٧ ١٨,٠٠٠,٠٠٠ كيس اكثرها من مقاطعات سان بول. اما بقيَّة البلاد كجزائر انتيل وجاوة وبورتيو واليمن فانَّ مجموع محصولها كلها ٤,٠٠٠,٠٠٠ فقط. واكثر الناس شربًا للقهوة البلجكيُّون فانَّ الواحد منهم يشرب سنويًّا ٧ كيلو ونصف

طائر طويل العمر — افادنا من معلولا حضرة الخوري باسيليوس عيسى ان الخواجا موسى بن يوسف دروبي من معلولا بينما كان يشتغل في كرمهِ في نيسان المنصرم اذ وقع بقربهِ عدَّة كراكي منها واحد اكبر كاد يتاف هرمًا وعليهِ نمس اي قتل الدجاج فلمَّا رآها وثب عليها فنفرتْ منهُ الَّا كبيرها المُنهك القوى فتأمَّلهُ واذا في رجلهِ سوارة (اسوار) عليها كتابة فقطع رجلهُ واخذها مع السوارة وهي من معدن ابيض. اما الكتابة فقرأها حضرة الخوري باسيليوس وشاهدها كثيرون وهي مكتوبة باللاتينيَّة وتاريخها سنة ١٦٧٦ كتبها احد المرَبين للطيور اسمهُ كوزبنت من بودابست في بلاد المجر لعلَّهُ فعل ذلك اختبارًا لمعرفة طول سنها اما الكتابة فهذه صورتها

[1] ORNITH. KOZPONT
BUDAPEST. HONGRIA. 1676

(المشرق) لا نريد نحكم في امر هذه الكتابة قبل ان نطَّلع على الاسوار ونتبيَّن قدمهُ وها نحن مرسلون هذا العدد من المجلَّة الى بودابست فنطلب ايضاحات عن صاحب الكتابة وزمانهِ وسنعود الى ذلك مرَّة اخرى ان شاء الله

# اسئلة واجوبة

س سألنا من سان فرنسيسكو يوسف افندي ناصيف: ١ً ما هي حالة القناصل العثمانيين في اميركة أهم قناصل رسميُّون لهم حقوق قناصل الدول في البلاد الاجنبيَّة ام هم شرفيُّون فقط ٢ً لاي سبب لا يجوز لكهنة بلاد الغرب ان يتزوَّجوا بخلاف اكهنة الشرقيين

القناصل العثمانيُّون في اميركة – زواج الكهنة

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ نصب القناصل العثمانيين في اميركة جديث العهد تعرفهم الدول الاميركية كعمَّال لاشغال المهاجرين يتوسَّطون بينهم وبين دولتهم لكنَّها لم تخوِّلهم الامتيازات التي يتمتَّع بها قناصل الدول في جهات الشرق . وهم شرفيُّون اكثر منهم رسميُّون . وجوابنا على (الثاني) اننا سبقنا فكتبنا في المشرق (٩ : ٨٠٠ – ٨١١) بحثًا مطوَّلًا عن زواج الاكليروس وردَدْنا بادلَّة متعدِّدة على ما كتبتهُ مجلَّة النور (المنطقيّ) وبيَّنا هناك كيف الكنيسة اعتبرت في كل زمن تبتُّل الكهنة من واجبات الكهنوت وكيف دخلت العادة في الشرق بان يُسمح للكهنة المتزوِّجين قبل الكهنوت ان يعيشوا بصحبة ازواجهم وما انتج ذلك من الانحطاط في الاكليروس الشرقي

س سألنا ر . س احد ادباء البلدة ما هو رأينا في ماسونيَّة الملك ادورد السابع الذي رسم المقتطف صورتهُ بالهيئة الماسونية (يونيو ١٩١٠ ص ٥٢٥)

الملك ادورد السابع والماسونية

ج سبق لنا في المشرق انَّ الماسونيَّة تخوِّل بعض الملوك امتيازات الماسون وتجعلهم رؤساء شرف دون ان توقفهم على شيء من اسرارها . وقد قبل بعض الملوك هذه الميزة لغايات سياسيَّة املًا منهم ان يتلافوا بذلك دسائس الماسون او يعدلوا بها عن دولهم لمناصبة الدول العادية لهم . ومذ اواسط القرن الثامن عشر اعتاد الماسون ان يُرئِّسوا شرفًا ولاة العهد في انكلترَّة على شيعتهم فلمَّا كانت سنة ١٨٦٨ وجَّهت الماسونيَّة الى ادورد السابع وهو ولي العهد شعار اساتذة الماسونيَّة فقبل رئاسة الشيعة ولا نراهُ في وقت ملكهِ افظ باسمها او تعزَّز بعبادتها . وزد على ذلك انَّ الماسونية في البلاد البروتستانية لم تبالغ في التهتُّك والكفر مبلغ العشيرة في البلاد الكاثوليكية لأنَّ اعداء الماسونية الكبار ليسوا البروتستانت وانَّما هي الكنيسة الكاثوليكية والصخرة البطرسية التي لا تقوى عليها قوَّات الجحيم

ل . ش